13 me Année No. 609

Lundi - 5 - 3 - 1945

الرسالة

مجلة أسبوعية للآداب والعلوم والفنون

ARRISSALAH

Revue Hebdomadaire Litteraire Scientifique et Artistique

بدل الاشتراك عن سنة

مـ

٨٠ فى مصر والسودان

١٥٠ فى سائر الممالك الأخرى

ثمن العدد ٢٠ مليما

الإعلانات

يتفق عليها مع الإدارة

صاحب المجلة ومديرها ورئيس تحريرها المسئول

احمد حسن الزيات

الإدارة

دار الرسالة بشارع السلطان حسين رقم ٨١ — عابدين — القاهرة

تليفون رقم ٤٢٣٩٠

العــــدد ٦٠٩ « القاهرة فى يوم الإثنين ٢٠ ربيع الأول سنة ١٣٦٤ — الموافق ٥ مارس سنة ١٩٤٥ » السنة الثالثة عشرة

المدارس الأدبيـــة

للأستاذ عباس محمود العقاد

من الحكايات الانجليزية المروية أن بنتاً من بنات الفلاحين وصلت إلى العاصمة فرأت جنوداً مصطفة وزحاما من الناس على جانبي الطريق وشرطا يذهبون ويجيئون وخيلا تعدو بفرسانها كوكبة بعد كوكبة ، فعجبت لهذه الحركة التى لم تعهدها فى قريتها وسألت ما الخبر ؟ فقيل لها إنه الملك يعود إلى قصره من هذه الطريق . فوقفت تنظر مع الناظرين حتى عبر بها الملك فى مركبته فنظرت اليه وهى لا تصدق ماتراه ، وصاحت بمن حولها : عجبا ! انه إنسان مثلنا ، فلماذا يجتمع الناس لينظروا إليه .

هذه البنت الريفية توجد فى كل بلد وفى كل زمن ، لأن الدنيا لن تخلو يوما من أولئك الذين يغلو بهم وهم السماع فلا يعرفون الواقع حين يرونه ، ويحسبون أن الأمور التى يتحدث بها الناس ينبغى أن تبدو للانظار والأسماع على غير ماتألف وتعتاد .

وليس هـذا بعجيب فى أخلاق الجهلاء ، ولـكنه عجيب ولاشك حين يتصف به أناس يحكمون فى الأدب والفكر ويقيمون الحدود بين الكتاب والشعراء ويزعمون أنهم يعرفون ويعلون المعرفة على الذين لايعرفون !

ومن هؤلاء كاتب فى صحيفة سورية تناول ما كتبته «الرسالة» عن بعض المدارس الأدبية فقال كما قالت تلك البنية الساذجة : عجبا ! ان هؤلاء إلاأناساً كسائر الناس ، فكيف يكونون أصحاب مدارس فى الكتابة أو الشعر كأولئك الذين نسمع عنهم من وراء البحار ؟

وأظهر شيء تدل عليه تلك الدهشة أن « البنية الريفية » التى كتبت فى تلك الصحيفة السورية لاتعرف مدرسة واحدة من مدارس الأدب فى الغرب ولا فى اللغة العربية ، وإنما تعرف تلك المدارس على الوهم الذى يخيله اليها السماع ولا يتمثل لها لحظة فى صورة الفهم الصحيح .

ولو لم تكن تلك « البنيّة الريفية » كذلك لأدركت أن الأدب الغربى — منذ أربعة أجيال على الأقل — لم تنشأ فيه مدرسة واحدة صنعت فى أدب قومها بعض الذى صنعه أدباء العربية فى الجيل الحاضر والجيل الذى سبقه ، لأن الآداب الأوربية تجرى منذ ألف سنة فى طريق واحدة يتقدم فيها السالكون خطوة بعد خطوة ومرحلة فى أثر مرحلة ، ولا ينتقلون فيها إذا انتقلوا فترة بعد فترة إلا من مقدمة محضرة إلا نتيجة منتظرة ، تمشياً مع الحركة المطردة من عصر اليونان إلى عصر النهضة التى جددت بعض مدارس اليونان ، إلى عصر الإصلاح والثورة بلا انقطاع ولا انحراف ، إلا فى أيام الركود والجمود .

فقصارى ما تصنعه المدرسة الأدبية بين الغربيين أنها تزيد فى المجاز أو تزيد فى التعبير عن الواقع ، وانها تميل إلى الأسلوب المأثور أو تدخل عليه بعض التصرف والتعديل ، وأنها تجمع إليها رهطاً من الزملاء بينهم تشابه فى المزاج وتقارب فى الموضوعات أو تقارب فى موضع الإقامة وفى المناظر التى يلتفتون اليها ويعنون بوصفها ، ثم يرجع الناقد إلى أدب قومهم قبل ظهورهم وبعد ذهابهم فاذا هو متقارب متتابع لا وثبة فيه ولا جنوح عن الجادة التى مهدت من قديم الزمان .

ولا يستطيع أحد من أولئك السامعين أن يترجم شعر خمسين سنة متوالية إلا بدا له أنه كالحلقة بعد الحلقة فى سلسلة واحدة قلما تتباعد فى أوساطها وإن تباعدت فى أطرافها ، وانه على الإجمال نوع واحد من الأدب فى الصميم .

أما أدباء العربية فى الجيل الحاضر والجيل الذى سبقه فقد صنعوا فى تغيير مقاييس الأدب مالم تصنعه مدرسة واحدة أوربية فى الأجيال الأخيرة .

لأن اختلاف المقاييس هنا هو اختلاف بين لغة ولغة ، وبين طبيعة وطبيعة ، وبين اقليم واقليم ، وبين زمن وزمن ، وبين موضوعات وموضوعات .

كانت مقاييس الأدب عندنا هى المقاييس التى يقال فيها هذا أغزل بيت قالته العرب ، وهذا أهجى بيت قاله الانس والجن ، وهذا معنى لو تقدم صاحبه فى الجاهلية يوما واحداً لكان أشعر الشعراء .

وكان الأديب العظيم معصوماً من النقد والملاحظة ، فاذا نقد أو لوحظ عليه فانما يجترئون عليه لأنه متأخر لا يستشهد بكلامه فى العربية ، ولا يكون اجتراؤهم عليه لحرية فكر أو صدق نظر الى القول والموضوع .

وكان البيت وحدة القصيدة ، وكانت القصيدة شتيتاً لا يشبه البنية الحية ولا يقبل الاسم والعنوان ، إلا أن يذكر فى صدرها أنها نظمت فى تهنئة زيد أو رثاء فلان .

وكانت الدواوين كراسات مملوءة بالقصائد من حرف الهمزة الى حرف الياء بذور تفرقة فى معارض الكلام ومعانيه الا ماتعودوه فى التفرقة بين باب المديح وباب الهجاء وباب الوصف وما شاكل ذلك من الأبواب .

وندع المنظوم والمنثور وننظر الى الشعراء والكتاب أنفسهم فاذا هم قد كانوا فى عرف العلية والسفلة متسولين أو ندماء يغشون المجالس للتسلية والترفيه ، ولا نعرف لهم رسالة مرعية فى عالم الفكر أو فى عالم الروح .

كل أولئك قد تغير فى جيلين ، أو تغير معظمه فى جيل واحد ، ثم لا يقال عن الذين غيروه إنهم جاءوا بمدرسة من مدارس الأدب أو بدلوا حالا بعد حال ، ولا يزال كثيراً عليهم أن يشبهوا بأولئك الأدباء الأوربيين الذين تنسب إليهم المدارس لأنهم كانوا يقيمون عند بحيرات الجبال ولا يقيمون فى الحواضر والعواصم ، أو كانوا يفصلون فى مسائل الجنس والغرام ولا يجملون ، أو كانوا من أهل التصريح فى العبارة ولم يكونوا من أهل الكناية والايماء .

جاء أولئك الأدباء الذين تستكثر « بنيّات الريف » أن تنسب المدارس اليهم فاستطاعوا فى مدى قصير أن يغيروا النظرة إلى الأدب وأن يغيروا النظرة إلى الأدباء .

فليس أدباء العرب اليوم مسترفدين ولا ندماء أسمار ، ولكنهم أصحاب صناعة مكرمة يضارعون فى الكرامة أولئك الذين كانوا يمدحونهم ويتزلفون إليهم ويقفون على أبوابهم فى انتظار جوائزهم قبل جيلين أو ثلاثة أجيال ، وإذا استطيع فى الغرب تعظيم شأن الأدباء على هذا النحو فليس فى ذلك من عجب وليس فيه كبير فضل للأديب ولا لأحد من أفراد الناس ، لأن استغناء الكاتب أو الشاعر بأعماله بين أمم محيت منها الأمية وتعودت مطابعها أن تخرج من الكتاب الواحد عشرات الألوف من كل طبعة أمر غير عسير .

أما المعجزة حقاً فهى تعظيم شأن الأدباء فى بلاد لا تزيد قراؤها على عشر أهلها ، ولا تملك مطابعها أن تعمم نشر الكتب بين القراء القليلين وهم موزعون هنا وهناك بين شتى الأقطار .

وهذه المعجزة صنعها أولئك الأدباء الذين يكثر عليهم أن تنسب المدارس إليهم ! ! ولم يصنعها الأدباء الذين تسمع بهم « بنيّات الريف » ولا يعقلون عنهم شيئا وراء السماع .

صنعوا هذا وصنعوا معه أنهم غيروا النظرة إلى الأدب كما أسلفنا فانتقلوا به من عصر إلى عصر ومن موضوع إلى موضوع ومن مقياس إلى مقياس ، ولم يكن هذا الأمر ليتيسر فى البلاد الشرقية كما تتيسر نشأة المدارس فى البلاد الأوربية ، لأن تغيير المقاييس

أبو العـــلاء المعري

التفاؤل والأثرة عند الشيخ

للأستاذ محمد إسعاف النشاشيبي

— ٦ —

الإيثارية L'altruisme

وافعل بغيرك ما تهواه يفعله ... وأسمع الناس ما تختار مسمعه

هذا البيت يشمل الأثرة والإيثارية معاً .

ولحكماء الإغريق قبل التأريخ الميلادي بخمس مئة سنة وفي الإنجيل ولحكيم الصين ما يشبه قول الشيخ . وروى البخاري في جامعه : « لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه » ، وروى ابن سعد في (الطبقات) : « قال رسول الله ليزيد بن أسد : يا يزيدَ بنَ أسد ، أحبَّ للناس الذي تحب لنفسك » والأثر الكريم — كما ترى — هو أثري وإيثاري . وروى البحتري في حماسته لعبد الله بن معاوية الجعفري :

ارض للناس ما رضيت من النا(م) س وإلا فقد ظلمت وجرتا

ولأبي العتاهية :

ولا خير فيمن ظل يبغي لنفسه ... من الخير ما لا يبتغي لأخيه

وقال عبد الله ابن المقفع : « أعدلُ السير أن تقيس الناس بنفسك فلا تأتي إليهم إلا ما ترضى أن يؤتى إليك » .

وروى السبكي في (طبقات الشافعية) لأبي سليمان الخطابي :

ارض للنـــاس جميعاً ... مثـــل ما ترضى لنفسك
إنما النـــاس جميعاً ... كلهم أبنـــاء جنسك
فلهم نفس كنفســـك ... ولهم حـــس كحسك

وفي (كامل) المبرد هذا القول : « خير الناس للناس خيرهم لنفسه » ، قال أبو العباس : « وذلك أنه إذا كان كذلك اتقى على نفسه من السرق لئلا يقطع ، ومن القتل لئلا يقاد ، فسلم الناس منه باتقائه على نفسه » .

ولما دعا الإمام الأستاذ أرنست هيكل إلى تلك النحلة الطبيعية الوحدية la religion moniste اتخذ تلك الحكمة دعامة آدابها .

ولو أني حُبيت الخلد فرداً ... لما أحببت بالخلد انفرادا
فلا هطلت عليّ ولا بأرضي ... سحائب ليس تنتظم البلادا
فيا وطني ، إن فاتني بك سابق ... من الدهر فلينعم لساكنك البال(١)

(١) من أجل ما قيل في الإيثارية الكريمة هذا الشعر : =

الحديثة هنا نقلة بعيدة من القديم إلى الحديث مع اختلاف اللغة والمزاج والفكرة ونماذج التفكير والتعبير ، وما كان هناك إلا حلقة صغيرة في سلسلة متشابكة الحلقات .

وسبيل المقابلة بين جهود الأدباء في الشرق وجهود نظرائهم في الغرب قريب جداً لمن يسمع ويعقل وإن كان بعيداً جداً عمن يسمعون ولا يعقلون ... أو يعقلون وقصارى عقلهم أن يصيحوا كما صاحت بنيّة الريف : يا عجباً ! إنه لأنسان كسائر الناس .

سبيل المقابلة أن تختار خمسون سنة من تاريخ الأدبين ، ثم يرى الناقد من ذلك مبلغ التفاوت بين البداية والنهاية في كل من الفترتين ، ومبلغ الجهد الذي كان لازماً لاغنى عنه في أحوال الأمتين

وإلى جانب هذا يختار كاتب أو شاعر من أصحاب المدارس هناك ثم تعرض له صفوة أعماله التي تتخذ للموازنة والمقابلة وتبنى عليها المناقشة والمفاضلة ، فلعل الكفة التي ترجح في هذا الميزان غير الكفة التي ترجح في ميزان السماع ، ولعل السالك في الطريق المعبد لا يبلغ شأن نظيره الذي يعلو ويهبط بين النجاد والوهاد ، ويفتح طريقه قدماً قدماً وهو مدلج فيه منقطع عن الرفيق .

تلك هي الحقيقة السهلة لمن يبصر الحقيقة إذا وقعت عينه عليها ، ولا ينتظرها كما ينتظر شيئاً يسمع به أبداً ولا يراه أو يدري كيف يراه .

فاذا خفيت هذه الحقيقة البينة على من تصدمهم ولا يدركونها — فليس الخطأ في ذلك خطأ الكتاب والأدباء ، ولكنه خطأ الحظ الذي رزقهم من القراء من يشبه تلك البنية الريفية البلهاء ، وما أكثرهم في الشرق على قلة القراء !

عباس محمود العقاد

وما سرني أني أصبت معاشراً بظلم وأني في النعيم مخلد

فانفع أخاك على ضعف تحس به إن النسيم بنفع الروح هباب

كيف لا يشرك المضيقين في النعمة قوم عليهم النعماء

انجد أخاك على خيرهم به فالمؤمنون لدى الخيرات أنجاد

جد بعرف ولو بالنزر محتسباً إن القناطير تحوى بالقراريط

فدار خصمك إن حق أنار له ولا تنازع بتمويه وإجلاب

إذا ما تبينا الأمور تكشفت لنا وأمير القوم للقوم خادم

لا يتركن قليل الخير يفعله من نال في الأرض تأييدا وتمكينا

أضىء بالمعروف وأتلق ، وأطلق عنانك فغدا تنطلق .

انظر بين يديك ، واجعل الشر تحت قدميك ، وإذا دعا السائل فقل لبيك ، وإذا ألجأ عدوك الدهر إليك فانس حقودك الغبرات[١] .

أطعم سائلك أطيب طعاميك ، واكس العاري أجد ثوبيك ، وامسح دموع الباكية بأرفق كفيك .

الرجل كل الرجل من آتى الزكاة ، ورحم المسكين ، وتبرع بما لا يجب عليه ، وكره الحنث ، وكفر عن اليمين .

لتكن سماؤك ثرة[٢] ، وثرى[٣] أرضك قريبا ، فنعم الشيء الثراء لمن كسا العاري وأطعم السغبان .

ذرت[٤] البركة في طعام أكل منه الضعيف ، ونزعت البركة من طعام خص به الغني دون الفقير ، والله مطعم المطعمين . وزر

== علي أنني أطرى الحسام إذا مضى وإن كان يوم الروع غيرى حامله
وآسى على جيحان إن غاض ماؤه وإن كان ذودا غير ذودى ناهله

(١) الغبرات : القديمات ، ومنه غبر الجرح إذا انتقض لفساد فيه قديم (أبو العلاء) .

(٢) عين ثرة : غزيرة الماء ، وكذلك السحابة ومطر ثر : واسع القطر (اللسان) .

(٣) الثرى : التراب الندى ، والثرى الندى (اللسان) وفي الأساس : وبلغت ثرى فلان إذا أدركت ما تطلب منه .

(٤) (ذرت) نشرت ، بذرت .

حرام بوقع المحقة في قميص انتسج من حل ، وقطرة الدم تقع في المزادة[١] فلا يحل منها الطهور .

أرّ نارك لطارقك[٢] ، ولا تؤرها لإحراق الجار ، والله جار[٣] من لا جار له من المستضعفين . ورُثّ في قلبك خير من بُرة في يدك[٤] فاتق الله ، وكن مع الأبرار الطاهرين .

قُد نفسك إلى الواجب ولو بجرير ، وكِد معاديك بأن تجتنب أفعال الكائدين ، ودل السائل لتكون نعم الدليل ، ودم على ما قربك من الأبرار الطيبين ، ودِن من فعل خيراً معك فإنك مدين .

يا بغاة الآثام ، وولاة أمور الأنام ، مرتع الجور وخيم ، وغبه ليس بحميد ، والتواضع أحسن رداء ، والكبر ذريعة المقت ، والفاخرة شر كلام . كلنا عبيد لله .

من بخل بطعام فقد بخل بقليل الأنعام .

بعدت رائحة قتار ، تظهر تارة بعد تار[٥] ، ثم لا ينال خيرها الفقير .

النفاق يلبسك ثوب الإشفاق ، والافتقاد يذهب الأحقاد ، والأشر يهلك البشر ، لا كتبنا الله مع الأشرين !

ما ريا قُطُر[٦] ورائحة حبيب عطر بأطيب من ثناء مستطر[٧] يثنى به برّ على مُبر[٨] .

***

تلكم طائفة من أقوال الشيخ ، وفيها التفاؤل كله في الحياة ،

(١) (المزادة) ظرف من جلد يحمل فيه الماء .

(٢) أرى ناره تأرية : أشعلها ورفعها .

(٣) جاره : مجيره وللبحترى :

شط من ساكن الغوير مزاره وطوته البلاد فالله جاره !

(٤) البرة : حلقة من سوار وقرط ، وخلخال من فضة أو ذهب .

(٥) في (الصحاح) : وربما قالوه بحذف الهاء ، قال الراجز : بالويل تاراً والثبور تاراً .

(٦) القطر — بضم الطاء وسكونها — العود الذي يتبخر به ، وقد قطر ثوبه ، وتقطرت المرأة ، والعود في المقاطر : المجامر

(٧) مكتوب .

(٨) ابر الأمور : طلب بها البر والاحسان إلى الناس والتقرب إلى الله تعالى .

وفيها الأثرية — كما أن فيها الإيثارية — وكان شيخنا « يلعب بالشطرنج والنرد ، ويدخل فى كل فن من الجد والهزل » كما روى الصفدى فى (نكت الهميان)

وكان خفيف الروح يُداعب ويُفاكه ، ومن فكاهته فى إحدى رسائله إلى أبى الحسين أحمد بن عثمان النكتى البصرى وقد غير هذا اسمه ، وقصر كنيته ـ هذه النبذة :

« ... وأهل البصرة[١] (سلمهم الله) ينسبون إلى قلة الحنين ، أليس قدمرت به هذه الحكاية وهىأنه وُجد على حجر مكتوب :

ما من غريب وإن أبدى تجلّده إلا سيذكر عنـد العلة الوطنا

فكتب تحته إلا أهل البصرة . فاذا كانت تلك سجيتهم مع أهلهم وأوطانهم ، فكيف بالذين عرفوهم من إخوانهم ؟ والدليل على ما قلت أنه ــ أدام الله عزه ــ لم يُثبت[٢] اسمى ، جعلنى محمداً واسمى أحمد ... وله أن يقول إنه تشبث بالكنية فاستغنى بها عن الاسم . فأما أنا فحفظت اسمه وكنيته ونسبه ، ولم أنس أيامه ولا مذاكرته ، وقد جعلت جواب كتابه نائبا مناب الاجتماع معه...

وما عبت على أهل البصرة قلة التفاتهم إلى الأوطان وإنما وصفتهم بقوة القلوب والأكباد لأن العرب تصف نفوسها بذلك ، أليس قد بلغه قول قتادة بن مسلمة الحنفى :

يبكى علينا ولا نبكى على أحـد لنحن أغلظ أكباداً من الإبل

فكيف استجاز أن يقصر كنية صديقه ؟ أما السمة فغيرها ، وأما الكنية فقصرها ، فإنا لله وإنا إليه راجعون ! هذا أمر من الله ، ليس هو من ضعف الشاعر ولا وهن القائل ولكنه من سوء الحظ لمن خوطب والاتفاق الردىء لمن سُمى وذكر ... وإنما تفوّت من ذلك لأنى قصير الهمة ، قصيراليد ، مقصور النظر ، أى مكفوف ، مقصور فى البيت أى لازم له ، فكأنى محبوس فيه . فما كفانى ذلك مع قصر الجسم حتى يضاف إليه قصر الاسم ، لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم . لو كنت أطول من ظل الرمح لصرت أقصر من سالفة[١] الذباب ، قد كنت أسْمَحُ فى الأرض كما تمصح الظلال[٢] ... وقد مدحنى بما ليس فىّ ، ولكنه فى ذلك على مذهب الخطباء والشعراء ، وزعم صاحب المنطق فى كتابه الثانى من الكتب الأربعة أن الكذب ليس بقبيح فى صناعة الشعر والخطابة ، ولذلك استجازت العرب أن تقول فتفرط ... »

وما (رسالة الغفران) العبقرية إلا كتاب أماليح وأفاكيه وأحاكيم[٣]

وكان الشيخ كلفاً بالحمد والمجد « والثناء على الرجل أحسن الملبوسات[٤] » « وغير ملوم من عشق الثناء لأنه أحسن حبيب مزور وأبقى مُنفِس مذخور[٥] » وقد أعلن ذلك ابن القارح فى رسالته المشهورة إلى أبى العلاء :

« ... ويعلم الله الكريم (تقدست أسماؤه) أنى لو حنت إليه (أدام الله تأييده) حنين الواله إلى بكرها ، أو الحمامة إلى إلفها ، أو الغزالة إلى خشفها ـ لكان ذلك مما تغيره الليالى والأيام والعصور والأعوام ، لكنه حنين الظمآن إلى الماء ، والخائف إلى الأمن ، والسليم[٦] إلى السلامة ، والغريق إلى النجاة ، والقلق إلى السكون ، بل حنين نفسه النفيسة إلى الحمد والمجد ، فانى رأيت نزاعها إليهما نزاع الاسطقسات[٧] إلى عناصرها ، والأركان إلى جواهرها ... »

***

(١) البصرة : مثلثة والفتح والسكون اللغة العالية والنسبة إليها بكسر الباء وفتحها .

(٢) أثبت الشىء : عرفه حق المعرفة . وفى الأساس : أثبت الشىء معرفة إذا قتله علماً

(١) السالفة : جانب العنق .

(٢) مصح الظل : ذهب .

(٣) جمع أحكومة والأحكومة كالأعجوبة من التعجب

(٤) أبو العلاء فى (الفصول والغايات) .

(٥) أبو العلاء فى رسالة إلى بعض أولياء السلطان يشفع فى صديق له كان عاملا يعرف بالحسين بن عتبة . ومنفس كالنفيس ، نفس نفاسة وأنفس إنفاساً .

(٦) السليم : اللديغ ، وإنما سمى اللديغ سليما لأنهم تطيروا من اللديغ فقلبوا المعنى كما قالوا للحبشى أبوالبيضاء ، وكما قالوا للفلاة مفازة تفاءلوا بالفوز وهى مهلكة (اللسان) .

(٧) العناصر الأربعة فى مذهب القدماء وهى الماء والسماء والأرض والهواء . .

وإذا أقام أبو العلاء في عرينه مضرباً فيه[١]، فقد كان مطلا على الدنيا – وإن خيل أنه تخلى منها – وما كان أخا زهد[٢] فيها، لا فكر له في شيء. وكانت شؤون أمته تعنيه أعظم عناية، والمتشائم لا تهمه حالة، ولا يبالي بأمر بالة. كتب إلى أبي الحسن ابن سنان، وقد أوذم على نفسه الحج[٣]، والعدو يزأر في الثغور:

« ... وسفرُ مولاي إلى الحج في هذه السنة حرام بسْل... وهل سمع في أخبار الصحابة (رحمهم الله) أو التابعين أن رجلا خرج من مُصافة العدو[٤] يريد بيت الله الحرام . . . وهو (أدام الله تمكينه) أمين من أمناء المسلمين، يُرهف الشوكة[٥]، ويستجيد اللأمة[٦]، ويحصن ما وهى من سور ... البيت العتيق منذ عهد آدم يُزار ويحج، ما خيف عليه انتقال ولا تحول، ولا غيره عن العهد مغير ... أما يعلم أن لأهل البلد أنساً رؤية شخصه واستماع قوله. وماينبغي أن يكون كما قيل في المثل « لجَّ فحجّ »[٧] ولو قال وليد لوليد في ليل داج وهو محادث محاج: من يؤجره في مقامه في الديار أضعاف أجره في حج واعتمار؟ فقال الوليد الآخر: (محمد بن سعيد) لوقع سهمه غير بعيد. وحماية الذمار أولى من حج واعتمار ... ».

ولما صبأ الفتى طارق (خلده الله في جهنم)

وفارق دين الوالدين بزائل ولولا ضلال بالفتى لم يفارق[١]

أرسلها (لزومية) صاعقة مجلجلة أحرقت ذاك المضلل. وهذه اللزومية – وهي واحد وعشرون بيتاً[٢] – توضح فرط عنايته بأمته واستمساكه بنحلته، وتنبئ بأنه كان يداخل القوم في أحوالهم وإن كان جليس نفسه[٣]

***

اقرأ كلامي إذا ضم الثرى جسدي
فإنه لك ممن قاله – خلف[٤]

محمد إسعاف النشاشيبي

(١) اضرب في بيته: لم يبرح.

(٢) كل من نسب إلى شيء فهو أخوه كقولهم أخو سفر وأخو عزمات وأخو قفار وأخو خمر وأخو لذة (المخصص).

(٣) أوذم على نفسه حجا أوجبه وعم به أبو عبيد، وأوذم على نفسه سفراً أوجبه (المخصص).

(٤) صافه فهو مصاف إذا رتب صفوفه في مقابل صفوف العدو. والمصاف – بفتح الميم وتشديد الفاء – جمع مصف وهو موضع الحرب الذي تكون فيه الصفوف (اللسان)

(٥) الشوكة: السلاح. رهف السيف وأرهفه رقق حده شحذه

(٦) اللأمة: الدرع المحكمة الملثمة.

(٧) قال الميداني في شرح المثل: معناه أن رجلا خرج يطوف في البلاد فاتفق حصوله بمكة فحج من غير رغبة منه، فقيل: لج في الطواف حتى حج، قال أبو عبيد: يضرب للرجل يبلغ من لجاجته أن يخرج إلى شيء ليس من شأنه، قال: وهذا من أمثالهم في صعوبة الخلق واللجاجة.

(١) أبو العلاء.

(٢) ذكر الشيخ طارقاً هذا في لزومية أخرى وفيها التوبيخ الشديد والذم البليغ.

(٣) فلان جليس نفسه إذا كان من أهل العزلة.

(٤) أبو العلاء.

في معرة أبي العـــلاء

للدكتور عبد الوهاب عزام

— ٣ —

وشارفنا حمص والساعة واحدة إلا دقائق ، وطالعتنا بعمرانها وسط زروعها وجناتها ، ثم دفعت بنا السيارات إليها واخترقتها غير معرِّجة ، وبودِّنا أن نعرج عليها قليلا . وعزّانا عما فاتنا من متع العين والقلب أنا عائدون إليها بعد أيام فنازلون بها . وجاوزنا حمص إلى سهل واسع محمرّ التربة تكسو الخضرة آكامه وجباله . وما زلنا نضرب في الأرض صوب الشمال حتى عبرنا العاصي عند قرية عليه ورأينا أولى نواعيره والساعة واحــدة وخمس وعشرون دقيقة .

وأشرفنا على حماة والساعة اثنتان ، فقضينا بدخولها وطراً قديما ، فقد مررت بها ثلاث مرات ولم يتيسر دخـــولها ، فأنشدت قول امرىء القيس :

تقطع أسباب اللبـانة والهوى   عشية رحنا من حماة وشيزرا

فاليوم أسعد برؤية حماة بين بساتينها ونواعيرها وهي أكبر نواعير الشام . ولا سيما هــذه الناعورة العالية الرائعة التي لا يقل قطرها عن عشرين متراً فيما حزرت . ويقال إنها كانت في مكانها من حماة أيام المأمون العباسي .

نزلنا في المدينة فاستقبلنا حكامها وأعيانها ورجال التعليم فيها في « دار العلم والتربية » وهي بناء قديم جميل فيــه من فن العمارة والنقش روائع . دخلنا ساحة فيهــا حوض كبير في وسطه صورة سبع يتدفق المــاء من فمه ، وفي جانبه شجرة كبيرة جميلة ترى خضرتها ونضرتها في صفحة الماء . وصعدنا إلى طبقة فيها باحة يتوسطها حوض آخر وعليها عقود جميلة وراءها قاعة من آثار الفن العربي الإسلامي . يستقبل داخلها خرير الماء في حوض صغير توسوس فوقه نافورة جميــلة رخامية فيها أنابيب كثيرة تقذف الماء فتخرجه أغصانا متشابكة من البلور ، وعلى سقف القاعة وجدرها من النقش والألوان ما يشغل النظر والفكر ، وكتب عليها آيات وأحاديث وأبيات من الشعر . ومن المرائي العظيمة الجميلة المصورة على جدرها صورة مدينة حلب وقلعتها ، وصــورة القرن الذهبي في استانبول .

بنى هذه القاعة أسعد باشا العظم عام ١١٥٣ هـ . وجوّد نقشها نصوح باشا العظم عام ١١٩٤ هـ .

وصارت مدرسة منذ خمسة وعشرين عاما وهي اليوم دار العلم والتربية . لبثنا بهذه القاعة الجميلة ريثما سمعنا ترحيب المدينة وتحدثنا إلى إخواننا في فرح الأمل وبسمة الظافر . ثم خرجنا إلى فندق البلدية حيث أعد الغــداء . وأهل المدينة في الطريق والشرفات يصفقون ويحيون بلاد العرب .

وقد رحب بنا رئيس البلدية هناك .

ولم يسعني الصمت في حماة وفي هذه الذكرى بين هذا الجمع . فألقيت كلمة أتذكر منها هذه الفقرات :

أرجو أن يعذرني إخواني إن تكلمت وفي صوتي أثر المرض ، كأن دمشق الحبيبة ، دمشق التي أحببناها وأخلصنا في حبها . فعل بنا هواؤها ما فعل ، « وقد يؤذي من المقــة الحبيب » . وإني أقول معتذراً قول كثير :

هنيئا مريئا غير داء مخامر   لعزة من أعراضنا ما استحلت

أيها الإخوان : إن الأمم لا تستيقظ في جانب وتنام في جانب ، ولا تنهض في ناحية وتقعــد في أخرى ، إذا استيقظت استيقظ كل شيء فيها ، وإذا نهضت نهضت كلها ، فليس محض اتفاق أن اجتمعت وفود البلاد العربية على ذكرى أبي العلاء المعري في الشام حين اجتمعت وفودها في الأسكندرية لتخط للجامعة العربية خطتها ، إن الأمم إذا عزمت وأجمعت أمرها لم يقفها شيء دون الغاية . ثم ذكرت اغتباطي بدخول حماة بعــد طول اشتياق إلى دخولها . وحييت أهل حماة وأهل الشام جميعا ، وقلت : إني أعني الشام الذي عرّفني إياه التاريخ ، لا أعرف هذه الأسماء الجديدة التي ما أنزل الله بها من سلطان .

وكان بجانبي الأستاذ الصديق عارف النكدي ، فطال تصفيقه لهذه الفقرة .

فصلنا من حماة والساعة ثلاث ونصف نؤم المعرة .

أشرفنا على المعرة أصيل اليوم بعد مسير نصف ساعة من حماة

فرأينا سهلا خصباً كثير الزروع والأشجار نخفقت القلوب لذكرى شاعرنا الفيلسوف ، وابتسمت الشفاه لمعاودة مدينة أبي العلاء ، وكنا زرناها قبل خمسة عشر عاماً ، واستقبلنا في مدخل البلد شارع فسيح طويل لم نره في زيارتنا الأولى . وعرفنا أنه فتح في السنين الأخيرة ، ودعينا إلى الاستراحة في دار حديثة جميلة من دور آل الحراكي ، ثم خرجنا نؤم مقصدنا ، ضريح رهن المحبسين

ولست أنسى مسيرنا بين صفوف متراصة من أهل البلد ، ودور ازدحمت منافذها وشرفاتها بالمشرفين على مهرجان أبي العلاء ، وقد مال بالشمس الأصيل فغضَّت أشعتها من أبصارنا كأنما يغض منها جلال الشيخ الفيلسوف

ذكرت حينئذ مكانة الشيخ من أهل بلده ، إذ كان حدباً عليهم براً بهم ، إذ كانوا يفزعون إليه في الشدائد ، وتمثلت صالح بن مرداس ينزل بساحتهم يريد الإيقاع بهم ، فيفزعون إلى شيخهم وقد لزم محبسه وقطع بينه وبين الناس العلائق لواستطاع ، ويستنجدونه ليدفع عنهم بأس الأمير الكلابي ، ويستشفعون به ليطلق صالح رجالهم ، وكان قد اعتقل من أعيانهم سبعين ، وأبو العلاء برم بالفتن المحيطة ، آنس بخلوته ، أو قلق بها ، يصف الناس ، إنهم ورياءهم وخداعهم ، وجنايتهم على أنفسهم وعلى الحيوان يبتغي الأمن في داره الصغيرة ، ولا يأمن أن تلج عليه آثام الناس ، وقد اعتزلهم جهده ، وود لو ينقذه الموت من صحبتهم وجوارهم . ولكن أبا العلاء الرحيم لا يملك أن يرد اللاجئين إليه ، أو يقعد عن إغاثتهم وهو قادر ، فيخرج أبو العلاء كارهاً إلى الأمير صالح فيقول :

الأمير أطال الله بقاءه كالنهار الماتع قاظ هجيره وطاب برداه ، والسيف القاطع لان مسه وخشن حداه . خذ العفو وأمر بالعرف وأعرض عن الجاهلين » فيقول صالح وقد أخذه مرأى الشيخ الذي سمع بمكانته ، وعرف له قدره ، قد وهبتهم لك أيها الشيخ . ورجع الشيخ إلى داره وهو فرح بما يسر الله على يده من الفرج ، مغموم لما اضطره إلى الخروج من معتزله والمثول بين يدي أمير . قال :

تغيبت في منزلي برهـــة ستير العيوب فقيد الحسد
فلما مضى العمر إلا الأقل وحُم لروحي فراق الجسد
بعثت شفيعاً إلى صالح وذاك من القوم رأي فسد
فيسمع مني سجع الحمام وأسمع منه زئير الأسد
فلا يعجبنِّي هـذا النفاق فكم نفَّقت محنة ما كسد

ويقول :

نجَّى المعاشر من براثن صالح رب يفرِّج كل أمر معضل
ما كان لي فيها جناح بعوضة والله ألبسهم جناح تفضل

وقد ذكر صالحاً في مواضع أخرى من لزومياته ، وقال :

ما لمت في أفعاله صالحاً بل خلته أحسن مني ضميره

وما زال أهل المعرة يعظمون شيخهم بعد وفاته ويسمونه « سيدنا أبا العلاء » فهم اليوم يعتزون ببلدهم ويفخرون بشيخهم وقد جاءت وفود الأقطار القريبة والبعيدة تذكره وتعظمه .

سارت الوفود بين الجموع الحاشدة ومعهم أعيان البلد ، وزعيمها حكمت بك الحراكي . وقد رأيته ــ وقد ضغط الناسَ الزحامُ إلى طريق الوفود ــ يُسرع مشفقاً على ضيوفه يرد الناس بأمره وذراعيه . مبالغة في الاحتياط لضيوفه . ونحن في جذل وفي هيبة مما نرى ونسمع . أبصارنا تتخلل هذا الزحام ، وتستشرف إلى الضريح المقصود وقلوبنا بين ذكرى الشيخ ، وبين حفاوة أهل المعرة به وبوفوده . اقترب مني حينئذ الأستاذ الأديب خليل مردم بك وقد أعجبه احتشاد المعرِّيين ، وفرح الولدان ومرحهم ، وراءه هذا الموكب السائر لتحية الفيلسوف الحزين فقال : هـذا مهرجان المعري » قلت : صدقت ، إن هذا لهو مهرجان المعري .

وانتهينا إلى بناء جديد ولجنا أحد أبوابه إلى ساحة فيها زرع وزهر . فلنا ذات اليمين والجنوب إلى القبر الرهيب ، يجثم عليه هذا الجندل العتيق ، وكنا رأيناه من قبل وقرأنا عليه اسم المقبور بخط كوفيّ ، وقال أحد أصحابي حينذاك : إن له هيبة الأسد الرابض . وفوق القبر عقد من الحجر لا تكلف فيه ولا تأنق ، فهو يساير زهد أبي العلاء لو رضي زهده أن يشاد على قبره بناء . ألم يقل في لزومياته :

فدِّي لنفسك نفسي آوني جدثا
من الحفيَّات لا قصرا ولا فَدَنا

قد تمنى الرجل ألا يزار قبره ولا يعرف :

ولى منزل فى الثرى ما يُزار … ولو رامه زائر ما عرف

فهل يرضيه أن يكون قبره معروفا مَزورا تحج إليه الوفود ؟

وقد ود أن يكون جدثه فى معزل عن أجداث الناس كما بعد هو فى حياته عنهم :

يا جدثى حسبك من رتبة … أنك من أجداثهم معزلا

وقد دفن فى معزل من الناس إلا بعض قرابة ؛ ولكنى أحسبه لا يكفيه هذا الاعتزال وهو فى المدينة بين الدور . كان بوده أن يدفن فى مهمه بعيداً عن الأحياء والموتى :

وددت وفاتى فى مهمه … به لامع ليس بالمَعلَم(١)

أموت به واحدا مفردا … وأدفن فى الأرض لم تظلم(٢)

وأبعد عن قائل : لا سلمت … وآخر قال : ألا يا اسلم

أحاذر أن تجعلوا مضجعى … إلى كافر حان أو مسلم(٣)

إذا قال ضايقتنى فى المحل … قلت : أساءوا ولم أعلم

(للكلام صلة)

عبد الوهاب عزام

(١) اللامع السراب .
(٢) لم تظلم لم يعهد فيها الحفر من قبل .
(٣) فى النسخة المطبوعة : بخان وأحسبها حان ، من الحين .

أسرار الشعراء

للأستاذ صلاح الدين المنجد

لن تجد صاحب شغف بتسقط أسرار الأدباء ، ولا طُلَعة يتحسس أخبار القراء مثلى . ولا أعرف منهلاً أحلى رشفاً ، وأكثر رياً ، وأبلغ عظة من هذه الأسرار ، فهى إن لم تهذب وتحذّر تلذ وتهز . وقد تجد فيها ما ترومه . وقد تلتبس عليك الأمور فلا تجد شيئاً . لأن بعض الأدباء يخفون عمداً أسرارهم الصحاح ، ويوهمون الناس أسراراً أخرى مزيفات ، أو يلوذون بالصمت ، فيلصق الناس بهم أشاوى لا عهد لهم بها ، ولكنهم يرضون عنها ، فالمهم أن يكونوا أحدوثة القوم وسمر المجالس . وما عليهم بعد ذلك إن صح ما ينسبون إليهم ، أو بطل ، ولكن ما رأيك إذا عثرت على طائفة من رسائل نفر من الأدباء ؛ رسائل الأصدقاء إلى الأصدقاء ، التى يفضى بها الإنسان بدخيلة أمره ومكنون سره ومضنون شكواه ؟ إنها اعترافات لا يشوبها زيف ولا يعتريها بطلان ، فلنقرأ أنموذجات منها ولننظر ماذا نلقى فيها .

* * *

ديموندفلاور "Desmond Flower" أديب انكليزى معاصر؛ شغف بتتبع أسرار الأدباء . فانتخب نهاد المائة رسالة ، من رسائل الأدباء من أيام شكسبير حتى أيام لورانس، أعنى منذ منتصف القرن السادس عشر ، إلى هذه الأيام . فأخرجها فى كتاب فخم طريف سماه « فى اقتفاء أثر الشعر » "The Pursuit of Poetry" نقلوه إلى الفرنسية فى فجر هذه الحرب وسموه "Ile Poursuite de la Poésie" . وهو كتاب يغنيك عن ألف كتاب ، وسفر لا يحوجك ، لكى تفهم ما فيه ، إلى كثير من العناء . يصور لك من خلال الرسائل أولئك القراء فترف حولك أطيافهم ، وتتمثل فى خاطرك أحاديثهم ، وتراهم بقلبك ، فتحسب أنك معهم ثم تشعر بعد هذا أنك صديق لهم ، تحبهم ويحبونك ، وتؤثرهم ويؤثرونك ، فيفضون إليك بخبائلهم وأسرارهم ، ويطلعونك على آرائهم وأفكارهم ، بل قد تعلم هجسات قلوبهم ونجويات خواطرهم . وقد تجد فيهم لطفاً وعطفاً ، وقد تلقى قسوة وخشونة . ثم إن شئت بعد ذلك أن تعرف شعرهم وطبعهم عليه ، وتترهم وبراعتهم فيه فذلك طوع يديك .

يقول فلاور فى مقدمة الكتاب : لا تخدع نفسك أبداً ، ولا تجهد كثيراً ، ليس لديك وسيلة لمعرفة جوهر الشعر ، والنفوذ إليه ، والوقوف عليه ، سوى القراءة . ينبغى أن تقرأ شعر الشاعر مرة ومرة ، ثم تعيد قراءته مثلها ، وقد تصل فى النهاية إلى ما تريد . ولكن إذا تواردت عليك هذه الأسئلة : كيف ينظم الشاعر ؟ أى نوع من الناس هو الشاعر ؟ كيف يبدع ، وكيف يخفق ؟ فليس لديك شىء أكثر جدوى من الرجوع إلى سيرة حياته ورسائله الخاصات إلى صحبه وأصدقائه .

اقرأ هذه الرسائل ، تعرف الشاعر حق المعرفة ، وتعلم أن عمل الشاعر شاق صعب ، طويل مجهد ، يبعث الملل ويفضى إلى التعب . وتقف على المشقة التى يلاقيها الكاتب ، للبحث عن لفظة أو صوغ جملة يؤدى بهما المعنى الواسع العميق الذى يزخر

به صدره . إن من المعانى ما يكون عظيماً واسعاً ، ولـكن الثوب ضيق ، ولابد من البحث والتنقيب ، ليكون الثوب قدر المعنى ، فيُظهر محاسنه ولا يخفيها ، ويستر عيوبه فلا يبديها ، ويؤثر فى نفس السامع ويحييها .

الحق أن الأديب يجهد ويتعب . ولـكنه لا يشكو ولا يتأفف . وقد يبدو ذلك من فلتات لسانه أو قلمه ، وقد يدعى أن لا أسهل عنده سهولة ولا أشد تملكاً من أن ينظم لك أو يكتب ما تشاء ، وفى أى وقت تشاء ، على حين يكون قد قطع الليالى فى البحث عن حرف أو فى نظم بيت .

إن هذه الرسائل مجمع حى للقراء الإنكليز وكتابهم . هذا دريدن Dryden ، وهذا وردثورث Wordsworth وذلك كيتز Keats وذاك شلى Shelly ، وهنا تينسون Tennyson وهناك هاردى T. Hardy ، وبينهما بيرون Byron فكلهم أمامى أقرأ رسائلهم فأتمثل وأفكر .

هذا دريدن يكتب إلى ناشر أحد كتبه بلهجة فيها عتب وتهديد :

« إنك لن تستطيع أن تعنى كثيراً بطبع كتابى طبعة جديدة مع التصحيحات التى أشرت إليها . إن أقل خطأ يسوؤنى إلى الأبد » .

وإذا كانت غلطة واحدة تسوء دريدن إلى الأبد ، فإن وردثورث كان أشد قسوة من دريدن وأقل بناشر كتبه رحمة فقد كتب إليه مرة : « لقد وجدت غلطة فى مقدمة مؤلفى الجديد لقد طبعوا Lucretia بدلا من Lucretius . فينبغى أن تصحح هذه الكلمة فى كل نسخة طبعت » .

فماذا يقول الناشرون اليوم لو أتاهم وردثورث يطلب إليهم القلم ذلك وكان المطبوع آلافاً من الـكتاب ؟

ثم حول وجهك نحو ولتر سكوت W. Scott القصصى البارع . الذى يقول عنه هوغو « إنه يهزنى ويتلاعب بى كما تهز الريح الورق فى الخريف » . تحول إليه واسمعه يتحدث عن الإيجاز فى الـكتابة ويدعو إليه . ويشمئز من النعوت التى يحشو بها الـكتاب السطور لا لمعنى فيها ولا لسحر بها . ولـكن للاطناب عند الـكتاب ، ولاستقامة وزن الشعر عند الشعراء . هذه الاستقامة التى يقتضيها علم العروض . حتى إنك لتراه فى بعض الأحايين مبشراً بالشعر المرسل الحر محاربا الحشو والتطويل أى حرب ، معيباً على پوب Pope أنه ملأ ترجمته الألياذة حشواً .

وعلى نحو من هذا ، تجد الشاعر الأميركى ويتمان Whitman فإنه يعجب بالإيجاز ويأنف من التطويل . ويكتب عند ما أخرج مجموعته الشعرية المساة : Rou le ments de Tom Cour

« إننى سعيد ، لأننى استطعت أن أنزه شعرى من كل حشو . وإننى لأنتشى عند ما أشعر أن كل كلمة فى القصيدة لا غنى عنها ، سواء أكان ذلك لوزن الشعر الذى راعيت حفظه ، أم للمعنى الذى أردت إظهاره » .

ولندع سكوت ينادى بالإيجاز ، ولننظر شارل لامب ، الدعبوبة المرح ، يكتب إلى وردثورث رسالة طريفة ، يتهزأ فيها من الـكتاب الذين ينبهون قراءهم أو ينصحون لهم : « قد تعلمون وقد لا تعلمون » ، « ولا يحسبن القارىء أبدا » ، « وتخيلوا إذا استطعتم » وغير ذلك من شبيهات هذه التعبيرات التى يعلو الـكاتب فيها ويحسب القارىء طفلاً أمامه يلقنه ويعلمه أو يشك بعلمه .

فماذا يقول لامب لوقرأ ما يسوقه الدكتور طه حسين فى ثنايا كتاباته من هذه التعبيرات ؟

ولامب إلى ذلك يعيب على شعراء عصره أنهم يشطون فى وصف المناظر الطبيعية بأوصاف مبتذلة « السماء الزرقاء والشمس الذهبية المتلألئة ... » فما ذا يقول لو سمع اليوم شعراءنا وكتابنا ما يزالون يقولون « النسيم العليل والماء النمير والهواء الرقيق ؟ »

استمع إليه يكتب إلى صديقه وردثورث ، وقد دعاه ليقضى أياماً فى الجبال . هذه الرسالة التى تثير دهشتك وشغفك :

«لايسوؤنى كثيراً أنى لم أرالجبل قط فى حياتى ، فلقد عشت دائماً فى لندن . وكنت أشعر دائماً بميل شديد اليها لا يقل عن ميل أصحاب الجبال إلى الطبيعة الجميلة . إن الدكاكين المصفوفة والمصانع التى لا عهد لهـا والتجارة والزبائن والسيارات الـكبيرات والصغيرات والمسارح والمقاهى . وهذا الفوران حول « كوفنت غاردن » وهؤلاء النساء اللندنيات وحراس الليل والسكارى والضجيج، وتلك الحركة الدائمة التى لاتنقطع فى أية ساعة استيقظت

فيها من الليل والجوع الغفيرة فى كل مكان . حتى الأوساخ والوحول . ثم تلك الشمس المضيئة الرفافة فوق البيوت ؛ وبائس الصور المحفورة والأبخرة الفواحة التى تصاعد من مطابخ المطاعم .

كل أولئك يملك على أمرى ويستولى على مشاعرى ؛ ويغذينى دائماً ، دون أشعر بملل قط . إن جمال هذه المناظر يدفعنى أحايين كثيرة إلى التنقل ليلاً فى الشوارع اللاًئى بالناس . وإننى لأذرف الدموع فى بعض الأحايين من الفرح . ولا بد أن تبدو هـــذه المشاعر غريبة عنك ، كما تبدو غريبة عنى مشاعرك نحو الطبيعة والجبال ... »

فهذا وصف ما فيه ترتيب ولا حسن نسق ، وهو مضطرب مشوش ولكنه بارع . لقد تعمد الكاتب هذه الصورة المضطربة تعمداً ، ليصور لك لندن المضطربة أيضاً . فبراعتها فى اضطرابها وحسنها فى قبحها .

صلاح الدين المنجد

على هامش النقد

سلســـــلة جديدة

سارق النار ... خليل هنداوى

للأستاذ سيد قطب

فى العالم العربى نهضة لا شك فيها ، أخص خصائصها عندى الإقبال على القراءة ؛ فالرغبة فى المعرفة هى الرغبة فى الحياة ، وما يغلق إنسان على نفسه أبواب المعرفة إلا وقد خمدت فيها جذوة الحياة ، فلم تعد فى حاجة إلى « الأوكسجين » الذى يجدد اشتعالها

وآية الإقبال على القراءة هى الإقبال على النشر الذى نلحظه فى هذه الأيام فى جميع البلاد العربية . والإقبال على النشر يدعو إلى الإقبال على التأليف . فما ينشط المؤلف أكثر من أن يحس أن هناك ناشراً يترقب ما تخرجه يداه ، وأن من وراء الناشر قارئاً يتلقف ما تخرجه المطبعة !

وأياً كانت الأسباب التى بعثت هذه الحركة ، فهى بشير خير على كل حال . وحين نجرد الحركة من الأسباب الطارئة مع الحرب فاننا نجد وراءها سبباً أصيلا هاماً ، هو يقظة الشعوب العربية وتطلعها إلى مستقبل خير من الحاضر ، مستقبل تتهيأ له بالمعرفة ، ويشوقها ما فيه من حيوية وازدهار

أقول هذا بمناسبة ظهور سلسلة أدبية جديدة فى « بيروت » تضطلع بها دار « الأديب » ، وظهور سلسلة من قبلها فى « دمشق » تخرجها « دار اليقظة العربية » اتباعاً للسلاسل التى تصدرها مصر : سلسلة إقرأ . وسلسلة أعلام الإسلام . وسلسلة النشر للجامعيين . وسلسلة كتب الشهر لدار إحياء الكتب العربية ... وكل هذا بجانب الكتب الفردية للمؤلفين الكثيرين

هذا بشير نهضة نرجو أن تظل فى اندفاعها البعيد !

***

« وسارق النار » هى الحلقة الثانية من سلسلة « الأديب » ببيروت . ويهمنى أن أكتب عنها ! فاخواننا الشرقيون دائمو العتب علينا لأننا ـ كما يقولون ـ لا نحفل مؤلفاتهم ، ولا نلتفت إلى نهضتهم . وذلك فى الوقت الذى يعيينا أن نحصل على هذه المؤلفات ، أو أن نقف على أسباب النهضة لأنها لا تصل إلينا إلا فى الحين بعد الحين ، وبعد مشقة وعسر ، حين نحصل عليها فى مكامنها المخبوءة . وقد لا نعثر عليها أصلا لأنها لا تباع !

اعرضوا هذه الكتب فى سوقنا ، واعلنوا عنها فى صحافتنا ثم اعتبوا بعد ذلك ما تشاءون !

والأستاذ خليل هنداوى صاحب هذه الحلقة معروف لنا من « الرسالة » ثم من « الأديب » ومن « المقتطف » فى بعض الأحيان ، فلعل إخواننا الشرقيين يعلمون من هذا أننا نتتبع كتابهم ، ونعرف خطواتهم . ولسنا عن هذا بغافلين !

***

« وسارق النار » مجموعة من المسرحيات مستمدة من الأساطير الإغريقية — إلا واحدة منها فمن قصص الحب العربى — وليست « سارق النار » إلا واحدة من هذه الأساطير سميت بها المجموعة كلها . وقد ضمت سواها : فتنة جزيرة بلارجل . ميلاد . المثال التائه . اللحن الكئيب

و « سارق النار » هو « بروميثيوس » الذى تقول الأساطير

الإغريقية إنه سرق النار المقدسة بمساعدة هليوس ، فاستطاع أن يخلق بها كما تخلق الآلهة ، فغضبت هذه عليه وانتقمت منه .

والأستاذ خليل هنداوى يمثل فى هذه المسرحية طريقة السرقة والحوافز النفسية التى زجت به فى هذه الوعورات وغضب الآلهة وحوارها بشأنه ، ثم انتقامها بما أرسلت إليه من الرذائل تشق طريقها إلى قلبه ، والأمراض تتنقل على فراشه ، والشقاء ينقض ظهره ، والأشواك تملأ دربه ، والموت يطفئ حياته ... ومع هذه الآلام جميعاً ... الأمل صديق الإنسان الوحيد فى الحياة . الأمل الذى كان إله الأرض هو الشفيع فى إرساله للانسان مع هذه الآلام !

وكذلك عالج فى « فتنة » عاطفة الغيرة . غيرة الجمال بين الربات الثلاث : أفروديت إلهة الجمال ، وأثينا إلهة الحرب ، وهيرا زوج كبير الآلهة . حينما غفل الآلهة عن دعوة « ايريس » خصيمة إفروديت إلى عرس إلهى . فقذفت بين المجتمعين بتفاحة كتب عليها إلى « أجمل فتاة » فانطلقت الفتنة فى لحظتها ... من الربات هى « أجمل » . إن حكم الآلهة لا يرضى فليحكم الإنسان ! ليحكم أول رجل يصادفه . إنه باريس راعى القطيع . وإنه ليحتار ويذهل ، وإنه ليتلقى الإغراء والوعيد ... ثم يحكم . يحكم لأفروديت إلهة الجمال التى لا تملك إلا الجمال . ثم ليتلقى انتقام الإلهتين . لقد اختار الجمال . « وإن من يختار الجمال يختار معه الموت » . وباريس لم يتلق الموت ولكنه تلقى الشرود الدائم فى الفيافى والسهوب يرسل الألحان من شبابته فى حنين دائم إلى ربة الجمال !

وعلى هذا النسق يسير المؤلف فى الإستمداد من الأساطير ، وصياغة مايستمده مسرحيات تقصر أو تطول .

* * *

يجب أن نرتد هنا إلى التسلسل التاريخى فى عالم الفن العربى فنرد هذا الفصل من فصوله — فصل الانتفاع بالأساطير المختلفة فى عالم المسرحيات — إلى « الفنان الأول » الذى نقله إلى المكتبة العربية ... هذا الفنان هو توفيق الحكيم :

أهل الكهف . شهر زاد . نهر الجنون . بيجماليون . سليمان الحكيم : هذه عنوانات لاتنسى ، وقد فتح بها هذا الفصل فى المكتبة العربية واستقر . واطمأن على وجوده بكل تأكيد .

بقى أن نتطلع إلى « الفنان الثانى » الذى يخطو خطوة وراء توفيق الحكيم . خطوة أصيلة كخطوته . لاتقف عند تقليده . ولا تقف عند مداه . بل تمتح من نبعها ، وترتقى آفاقا وراء الآفاق الأولى .

فهل استطاع الأستاذ « هنداوى » أن يخطو هذه الخطوة ؟ يجب ألا نجد فى أنفسنا حرجا من الجواب ... لا !

ولا يعنى هذا أن الأستاذ لم يوفق . فهذا شىء آخر . إنما الذى أعنيه هو أن الخطوة الأولى فى هذا الفصل لا تزال متفردة ولا تزال سابقة ، وهذا كل ماأريد أن أقول .

وفى مسرحية « الشــال التائه » مجال للموازنة بين « بيجماليون » توفيق الحكيم و « بيجماليون » خليل هنداوى وأحب هنا أن أبرىء الأستاذ « هنداوى » من النقل . فحينما ظهرت « بيجماليون » توفيق كتب الأستاذ هنداوى فى المقتطف أن له مسرحية من فصل واحد عن « بجماليون » نشرها فى المقتطف فى وقت لايتسع البتة للنقل والمحاكاة .

ثم إنه عالج الموضوع بطريقة أخرى غير طريقة الحكيم وبين الطريقتين وبين الطاقتين تصح الموازنة ويصح القياس .

فأما بيجماليون عند توفيق الحكيم فهو الفنان المضطرب المتأرجح بين الحيوية الحاضرة والنموذج الفنى الخالد . والذى يفتن بما أبدعت يداه ثم يحطمه لأن فى نفسه أبدا طموحا إلى ماهو أعلى . إلى المثــل الفنى الذى يخايل له أبدا ويدعوه إلى الخلق من جديد .

وأما بيجماليون عند خليل هنداوى فهو الفنان الذى يفتن بعمله الفنى فيحس فيه الحياة ويستغنى به عن النموذج الحى الذى استوحاه .

وكلتاهما وجهة نظر وطريقة اتجاه . أما التقدير الفنى لهما فيقوم على مقدار مااستطاع المؤلف أن يبثه من فن ومدى توفيقه فى فى معالجة موضوعه على النحو الذى أراد .

لاتزال الريشة فى يد الأستاذ هنداوى ترتجف ، ولا تزال تنقصها الجرأة الحاسمة ، والحركة المتمكنة . وفى مثل هــذه المسرحيات يكون للومضات الذهنية والتحليقات الفكرية

والإشراقات الوجدانية كل القيمة فى معالجة الموضوع . وهذا كله فى مجموعة « سارق النار » محدود بقدر ، حين يقاس إلى مثله عند توفيق .

وفى اعتقادى أن مسرحية « سارق النار » هى خير ما فى المجموعة بالقياس إلى توافر هذه العناصر ، وبالقياس إلى لمحات الحوار الموحية ؛ وإلى رائحة التضج التى تشم فى هذا الحوار .

ثم تليها مسرحية « فتنة » فسرحية « جزيرة بلا رجل » فسرحية « المثال التائه » فسرحية « اللحن الكئيب » . .

أما مسرحية « ميلاء » فالفشل واضح فيها . وأخشى أن يكون منشأ هذا تخلى روعة الأساطير الإغريقية ووحيها عن « المؤلف » فميلاء عربية فى جوها وشخصياتها . وقدبقيت عارية من اللحم والدم والفن . ولهذا دلالة خطيرة ! لا أحب أن آخذ بها فى هذه المجموعة بل أوثر أن أنتظر تجربة أخرى جديدة !

* * *

بقيت كلمة حق :

إننا إذا استثنينا توفيق الحكيم . ورحنا نبحث فى الشرق العربى عما أخرجته المطبعة فى هذا الفصل — فصل المسرحيات الأسطورية . نجد مجموعة « سارق النار » هى الأولى فى جميع المحاولات . ولعل المستقبل يضمر لمؤلفها من النضوج والتمكن مايقفز به إلى الصف الأول . ولكن بعد جهد طويل .

سيد قطب

الأميرة علية بنت المهدى

١٦٠ - ٢١٠

للأستاذ سعيد الديوه جى

عاشت علية بنت المهدى فى أوج الدولة العباسية ، ولدت فى خلافة المنصور ، وتقلبت فى نعيم أبيها المهدى وشاهدت بغداد وهى أعظم مدينة فى العالم : دار السلام ، وعاصمة الإسلام . مقر الخلافة وكعبة الأدب ، ودار العلم والحكمة ، جنة الأرض ، وغرة البلاد ، ومجمع المحاسن والطيبات ، ومدينة الظرائف واللطائف ، فهى حاضرة الدنيا وما عداها بادية ، وقد سأل الإمام الشافعى رجلاً : هل رأيت بغداد قال : لا . قال . مارأيت الدنيا ولا الناس هذه هى بغداد التى كانت عاصمة الرشيد والتى مثل فى قصورها وحدائقها وملاعبها حوادث ألف ليلة وليلة ، التى كانت وما زالت مضرب الأمثال فى العظمة والسعة والنظام ، وفى سبيلها سفكت دماء ، وثلت عروش ، وانقرضت دول إثر دول . وهى صامدة تقاوم حدثان الدهر ، وتضحك من فتنة آدم بها ؛ فهى بحق « زوراء » بوجه كل عدو .

أما أمها : فهى مكنونة : من جوارى المدينة المشهورات بالحسن والجمال والغناء والدلال والشعر والأدب ولها صوت رخيم ، فاجتمع فيها جمال الخلق وجمال الصنعة وافتتن بها الناس ، وبلغ أمرها المهدى ، وكان يرغب بها ولكنه يخشى غضب أبيه المنصور المعروف بجده ، فاشتراها سراً بمائة ألف درهم ؛ ولمادخلت القصر غلبته على أمره وملكت قلبه ، فمال اليها دون بقية جواريه وفضلها حتى على « الخيزران » فكانت الخيزران تقول : « والله ما ملك امرأة أغلظ على منها » .

تولت أمها تربيتها بنفسها فحببت اليها الجمال منذ صغرها ؛ فنشأت مطبوعة على حب الفنون الجميلة ؛ أمرت بتعليمها الكتابة فأتقنتها ؛ واختارت لها الكتب الأدبية فدرستها ؛ وسلمتها إلى المؤدبين فأحسنوا تأديبها ؛ وأحضرت لها الفقهاء والعلماء فأخذت عنهم ، وكانت تروضها على قول الشعر منذ نعومة أظفارها فصارت من الشاعرات اللاتى يضرب المثل بشعرهن . كما كانت تطلعها على ألحان العرب وأصواتهم وتدربها على آلات الطرب . فكانت بلبل بنى العباس وهزارهم .

ولما كمل شبابها تطلع أمراء البيت المالك اليها وكل منهم يتمنى أن يحظى بالفن والعلم والجمال، ولكن أباها آثر بها « موسى ابن عيسى الهاشمى » وهو أحد أبطال بنى العباس شجاعة وأدبا ودهاء . وتولى امارات الولايات المهمة . كمصر ؛ والعراق ؛ والشام ؛ واليمن .

ورثت علية من هذا الأمير أموالاً طائلة وعقارات فى الولايات التى تقلدها فاتخذت لها قصراً فخماً يضاهى قصور الخلفاء فى السعة والجمال ، يقع هذا القصر على ضفة دجلة بالقرب من قصر زبيدة « دار القرار » وقصر الرشيد « دار الخلد » ولقصرها شرف مطلة على دجلة ؛ وقد زينت شاطئه بما تحويه من النقوش المتقنة

والتصاوير الجميلة ؛ والألوان الزاهية ؛ كما كان لقصرها شرف أخرى تطل على الميدان — ميدان دار الخلافة — والقصر يضم آلاف الجوارى والخدم والحراس ؛ وبلغ من أمر القصر أن اتخذه الخليفة المعتصم داراً له بعد وفاتها .

فى الشرفات المطلة على النهر كانت تجلس علية ؛ تصعد أمامها الشمّيريات والحرّاقات والزّبازب إلى دار القرار أو تنحدر إلى دار الخلد مقر عاهل الإسلام أمير المؤمنين الرشيد أعظم خليفة عرفه الشرق والغرب . فيها القواد والأمراء والعلماء وأهل الفن بل يمر أمامها أهل بغداد على اختلاف طبقاتهم . وترى وفود الملوك والعواهل يتقدمون بذلة وخضوع حاملين هداياهم معرضين ولاءهم لأمير المؤمنين .

علية والرشيد :

كان الرشيد مشغوفاً بأخته وقلما يصبر عنها ، وإذا زارته فانه كان يجلسها معه على سرير الخلافة . وذلك لما يراه من عقلها وأدبها وظرفها ؛ ورقة شعرها ، وجمال غنائها ؛ وحسن توقيعها ؛ وكثيراً ما كان يزورها فى قصرها ويطلب منها أن تقيم له الحفلات الغنائية ويقضى ليله عندها يصغى إلى أصوات الحور العين ؛ تردد فى جو قصرها ما أبدعته قريحة علية من الشعر وما صاغته من الألحان

وفى إحدى ليالى الربيع وقد نشر البدر أشعته الفضية على بغداد وجناتها . وساد المدينة الهدوء وأطفئت أنوار دار الخلافة وأمير المؤمنين على فراشه يتململ تململ السليم . يطلب النوم فلا يجده ؛ وتوالت عليه الهواجس والأفكار فضاق صدره؛ بل ضاق به دار الخلد ؛ فخرج إلى حدائقه الغناء يتنقل من محل إلى آخر لينفس غمه ويزيل همه . ولكن السرور لم يجد إلى قلبه سبيلاً ؛ كأنه لم يشعر بما حوله من الأزهار والرياحين ؛ وما يحف به من الحور العين ؛ ترك القصر واتجه إلى قصر أخته « علية » هرع الخدم إلى الأميرة يعلمونها بقدوم أمير المؤمنين ؛ فأسرعت الأخت إلى أخيها ؛ وهى تعلم أن مجيئه فى مثل هذه الساعة ؛ ومن غير ميعاد ؛ لم يكن إلا لأمر أصابه أو هم أقلقه . وعلية أدرى الناس بمعالجة أخيها — كيف لا ؟ وهى أميرة الشعر والطرب .

جلس الرشيد فى الشرفة المطلة على دجلة . وأمرت علية جواريها أن يلبسن أنواع الثياب المزركشة ؛ ووصعت رؤوسهن بالعصائب الحريرية المكللة بالدرر والجواهر ؛ وأخذن معازفهن وجلسن قريباً من أمير المؤمنين واندفعت تغنى أبياتاً من نظمها وتلحينها والجوارى يرددن الغناء :

فرّجوا كربى قليلاً   فلقد صرت نحيلاً
افعلوا فى أمر مشغو   ف بكم فعلاً جميلاً

فالشعر من نظمها ؛ واللحن من وضعها ؛ والصوت من قلبها وما خرج من القلب حل فى القلب ؛ فتغلغلت النغمات فى أعماق قلب الرشيد ودافعت الهموم ، فسر بذلك وابتسم فابتسمت الدنيا لعلية ؛ إذ أنها فرجت عن أخيها ؛ واستزادها فغنت من نظمها :

أوقعت قلبى فى الهوى   ونجوت منه سالمه
وبدأتنى بالوصل   ثم قطعت وصلى ظالمه
توبى فانك عالمه   أولا فانك آثمه

فطرب الرشيد طربا شديداً . ثم استدناها منه وأخذ يتحدث معها عما كان به من الهم : وأمرت علية إحدى جواريها فغنت من أصوات سيدتها :

قل لذى الطرة والأصداغ والوجه المليح
ولمن أشعل نار الحب فى قلب قريح
ما صحيح حملت عيناك فيه بصحيح

وغنت جارية ثانية :

ألبس الماء الداما   واسقنى حتى أناما
وافض جودك فى النا   س تكن فيهم إماما
لعن الله أخا البخل   وإن صلى وصاما

وبقى الرشيد عند أخته يستزيدها من الأصوات فتغنيه هى وجواريها حتى أذّن المؤذن يدعو الناس إلى ذكر الله وإلى الصلاة فلبى الرشيد داعى الله ونهضت أخته تودعه يحف بها الجوارى والبشر طافح على وجه الخليفة والسرور قد ملأ قلبه .

وكانت علية كثيراً ما تباغت أمير المؤمنين فى الأزياء المبتكرة والألحان التى تضعها أو الشعر الذى تجود به قريحتها — وفى أحد الأيام كتبت إليه تستزيره كعادتها — وما كاد يتوسط حديقة القصر حتى رأى أخته تستقبله هى وجواريها بأزياء جديدة مبتكرة وهن يرددن صوتاً من نظم أميرتهم وتلحينها :

تفديك أختك قد حُبيت بنعمة   لسنا نعد لها الزمان عديلا

إلا الخلود وذاك قربك سيدى   لا زال قربك والبقاء طويلا
وحمدت ربى فى إجابة دعوتى   ورأيت حمدى عند ذاك قليلا

وكان كثيراً مايستصحبها معه فى سفراته ومنتزهاته، لتشاركه فى أفراحه وتخفف عنه عناء السفر فى أنغامها وأشعارها. خرج مرة إلى الرقة البلدة الجميلة التى كان الرشيد كثيراً ما يرتادها لجمالها وطيب هوائها وكثرة أزهارها وأثمارها، فأحب أن تشاركه أخته بهذا الجمال الفتان فكتب إلى خال المهدى يأمره أن يصحبها معه إليه. وفى طريقها استيقظت صباح يوم على أصوات النواعير. فصغت إلى أنينها يتردد فى ذلك الفضاء الواسع يشارك كل مفؤود ويسلى كل محزون ويخفف أتعاب البائس، ويحرك أشجان الهائم ويذكر الألف بألفه والحبيب بحبيبه، والغريب بوطنه، ويشكو إلى الله ظلم البشر — ولم تكن علية قد سمعت هذا الصوت السحرى الجميل فحرك أشجانها وهيج قلبها، وذكرها ببغداد وما فيها، ففاض الشعر من قلبها واندفعت تغنى على هذا التوقيع الطبيعى :

اشرب وغن على صوت النواعير
ما كنت أعرفها لولا ابن منصور
لولا الرجاء لمن أملت رؤيتــه
ما جزت بغداد فى خوف وتقدير

وصلت الرقة بسلامة وشاركت أخاها الأنس والطرب ثم رجعت إلى دار السلام. ولما سافر الرشيد إلى الرى أمر علية أن ترافقه فوافقته كرهاً، ولم يطلب لها الخروج من قصرها جنة الدنيا ونعيمها إلى بلاد لا تعرفها وأناس لا تألفهم، ولما وصل الموكب المرج جلست علية مع الرشيد وكان قلبها معلقاً ببغداد فأظهرت لأخيها شوقها فى شعرها فأنشدته :

ومغترب بالمـــرج يبكى لشجوه
وقد غاب عنه المسعدون عن الحب
إذا ما أتاه الركب من نحو أرضه
تنشق يستشفى برائحة الركـب

فأمرها الرشيد أن تعود إلى دار أنسها ومرحها.

وكان الناس يتقدمون إليها لتساعدهم فى قضاء حوائجهم عند الرشيد، شفاعتها عنده مقبولة، وكتبها لا ترد، وقاصدها لا يخيب، وكيف يردها وهى تخاطبه بلسان الشوق وتعبر له بأعذب الألحان.

أما تعلق « زبيدة » زوج الرشيد بالأميرة علية فكان لا يقل عن تعلق الرشيد بها. تشكو لها كل هم يصيبها وتطلعها على سرها وتستشيرها وتسترشد برأيها الصائب — كما كانت تبث لها شكواها إذا ما رأت جفوة أو إعراضاً من أمير المؤمنين وتستعين بها عليه.

أهدى للرشيد جارية فى غاية الحسن والجمال وعلى جانب من العلم والأدب فأعجب بها الرشيد وقدمها على جواريه. ثم تعدى الأمر إلى أعظم من هذا حيث قدمها على زبيدة، شق الأمر على زبيدة، فقد أفلت « هرون » من يدها، وظهر لها ضرة نافستها وتقدمت عليها — وداء الضرائر معروف وجد مع تعدد الزوجات فلايغيظ المرأة أحد بقدر ضرتها « فالضرة مرة ولو كانت جرة » ولكن ما العمل والجارية قد احتلت مكان زبيدة وملأ حبها قلب هرون.

كتبت زبيدة إلى بت عمها تستزيرها، ولما حضرت عندها عرضت عليها أمرها وشكت ما تقاسيه من مرارة العيش منذ وجدت هذه الضرة وطلبت معونتها فقالت علية: « لا يهولنك هذا الأمر والله لأردنه إليك ».

نظمت عُلية أبياتاً. وصاغت فيها لحناً وجمعت جواريها وجوارى زبيدة عندها وأمرتهن أن يلبسن أفخر ثيابهن ويأخذن أجمل حلاهن، وكللت رؤوسهن بالأزهار والرياحين، وعطرتهن بالطيب والغالية، وطرحت عليهن اللحن حتى أتقنته. انتشر الجوارى بين أشجار جنائن الخلد وأزهارها، ولما كان وقت العصر خرج الرشيد للصلاة فى مسجد قصر الخلافة، وما كاد يتوسط القصر حتى باغته الجوارى وكأنهن حوريات أفلتن من الجنة، بأيديهن المعازف يتقدمهن عُلية وزبيدة، وهن يرددن بصوت واحد :

منفصل عنى وما قلبى عنــه منفصل
ياقاطعى قل لى : لمن نويت غيرى أن تصل ؟

فطرب الرشيد غاية الطرب وتقدم إلى زبيدة وأخذ بيدها واعتذر منها ، ونادى بامسرور لا تبقين فى بيت المال درهما إلا نثرته على الجوارى . فيقال إنه نثر عليهن ستة ملايين درهم ولم يشاهد الرشيد فى يوم مسروراً كسروره فى هذا اليوم . عادت المياه إلى مجاريها وكفى الله زبيدة داء الضرائر بفضل عُلية . فسبحان محول القلوب !!.

قلما تصفو الدنيا الغدارة لأحد فهى لا تلبث أن تبدل الصفو بالكدر ، والسرور بالقهر ، والفرح بالحزن ، والهناء بالعزاء ، تضحك اليوم وتبكى غداً ، وتعطى هذا وتحرم ذاك .

وبينما عُلية فى شرف قصرها ، تطل على القاصدين لدار الخلافة تترقب عودة أخيها الرشيد من « طوس » رأت حركة منكرة فى دار الخلد ، واضطرابا فى القصر بل فى بغداد أجمع ، فقد اجتمع الأمراء والولاة والقضاة وأرباب الحكم على اختلاف طبقاتهم بثياب العزاء فتفرست بهم فاذا بوجوههم عانية ، وقلوبهم خافقة ، وعيونهم دامعة ، وألسنتهم خرس . لا تقدر أن تعبر عن هول المصيبة التى حلت بأمير المؤمنين ، والرزء الذى أصاب العرب والمسلمين :— ان أمير المؤمنين الرشيد قد قضى نحبه فى طوس — اسودت الدنيا بعين عُلية وضاق بها القصر الواسع فقد فجعت بأخيها أمير المؤمنين الرشيد أعظم خليفة أظهر للعالم عظمة العرب والاسلام ، وأنفق فى سبيل العلم والعمران مايعجز عنه غيره — وكانت عاقبة هذا العاهل الذى خضعت له ملوك الأرض ، ودانت له الأمم ، وانقادت إليه الشعوب صاغرة ، أن أدلى فى لحده وأهيل عليه التراب بعيداً عن عاصمة ملكه . فقد ضن عليه الزمن أن يدفن فى دار السلام ، المدينة التى جعلها كعبة العلم والأدب والفن ، بل عز على بغداد أن ترى الرشيد ميتاً يقبر فى لحودها بعد أن زانها حياً وجعلها سيدة البلاد .

رفعت المعازف . وبحت الحناجر وساد الهدوء والخشوع فى قصر عُلية فلا يسمع إلا صوت المؤذن وقراءة القرآن ، ولا ترى عُلية إلا فى محرابها تصلى ، أو بكتابها تقرأ ، أو تندب أخاها ، أو تتنقل فى خمائل قصرها تطلب العزلة لتخفف عنها أحزانها .

عز على الأمين أن يرى أميرة الشعر والطرب وهزار بنى العباس على هذه الحالة المؤلمة فكان يتردد إلى زيارتها كثيراً ويدعوها إلى قصره . والحزن لا يجد قراراً فى قلب شب على الشعر والأدب والعزف والطرب فلم تلبث أن وافقت الأمين فى لهوه ومرحه .

عُلية اليوم قد ذهب نور شبابها ، واشتعل الشيب فى رأسها ، وتغيرت نبرات صوتها ، ولكن نفسها لم تشب ، بل بقيت نفساً طاهرة ، تحب الجمال ، وتسمع الصوت الجميل ، وتعشق كل جميل ، ومازالت هذه الزهرة تذبل حتى ذوت وفارقت الدنيا سنة ٢١٠ هـ وقد مضى عليها خمسون ربيعاً .

وفى صبيحة يوم رأى أهل بغداد أمير المؤمنين المأمون يسير خاشعاً أمام نعش مهيب يحف به الأمراء والوزراء والعلماء فخف به أهل بغداد ، وقف النعش على مقابر قريش وصلى عليه الخليفة ، وأدليت جثة عُلية ودفنت درة بنى العباس فى هذا التراب .

للحديث بقية

سعيد الديوه جى

النابغون فى أوطانهم

للأستاذ محمود عزت عرفه

كما تتوارى هذه الشمس فى النهار الدجن خلف كسف من السحاب مركوم فلا يفتأ ينم عليها ساطع من سناها، يوشى أطراف السحابة بلألائه ، ويكاد ينبثق على جنباتها انبثاقا.. كذلك تستكن العبقريات النواشىء فى زوايا بعض النفوس غير منفكة عن إرسال أقباسها الدالة عليها ، فى سدفة هذا الظلام المكتنف صاحبها ، من فقر أو ضعف ، أو اتضاع شأن أو بكورة سن ، أو غير ذلك من سائر هذه المعوقات التى تؤخر تجلى المواهب ، وتملأ السبيل إلى المجد بالشوك والصخور..

ولهذه النباهة التى تهبط على الخاملين فجأة دلائل وإرهاصات قل من يدركها فى حينها ؛ لكن قل أيضاً من لايعجب لنفسه كيف فاته أن يدركها فى ذلك الحين ! ومن هنا كان المرتقى أمام العصاميين شاقا طويل المدى ، لايكاد يوفى على غايته منهم إلا كل صافى الجوهر فى العبقرية ، قوى المنة على مواجهة مصاعب الحياة ومقارعة أحداثها..

والعصامى محروم — أول أمره — مما يستند إليه الناس عادة من سالف الحرمة أو سابقة الفضل ؛ وهو ماق بالكيد منكوب بالمعارضة ، موزع جهده بين التقدم تارة ودفع التعويق تارات ، مقسومة قواه بين البناء من جانب وتوقى الانهيار من آخر...

وأغرى الناس بمنابذته وأشدهم بأساً فى مضارته ، هم أدناهم إليه مكانا ، وألصقهم به وشيجة ونسباً.. من أهل بلده وذوى قرباه ، ومن رصفائه وأنداده الذين يشركونه فى سن أو عمل ، أو نزعة واتجاه .

وكأنما يعجب هؤلاء لفرد من أوساطهم ، أو من أدانيهم ، يسمو إلى منزلة لم يروه من قبل لها أهلا ، ويبلغ من جاه الحياة أو من تراثها حظا لم يقدروا له أن يبلغه . وما أشد تقتير الناس فى تقديرهم .

فلا غرو — وهذا هو الوضع — أن يكون لأكثر العصاميين ثارات قديمة عند أوطانهم الأولى حيث مرابع طفولتهم ومراتع صباهم .. تلك التى شهدت من بواكير ضرهم وبأسائهم ما لم يشهد سواها ؛ ثم عند مواطنيهم الأقربين فيها ، وهم من ذاقوا على أيديهم أول ماذاقوا من كؤوس الحرمان والأذى ، وتجرعوا أول ماتجرعوا من مرارة التثبيط والجحود . وإنها لثارات وذحول تأبى على أصحابها إلا ترقب العودة إلى هذه الأوطان فى مواكب النصر بعد أن فصلوا عنها فى ركاب الذل والصغار...

وليس من محض المصادفة أن نرى شكسبير يأوى فى أخريات أيامه إلى قريته ستافورد أون آفون ، مخلفاً وراءه لندن مبسوطة اليدين نحوه بمزيد من ثروتها وجاهها . ولا مراء فى أن صورة عجيبة النظر كان يلتمع مرآها فى ذهن الشاعر الكبير وهو يقف على باب قريته كهلا فى سن الخمسين .. صورة لشاب فويق العشرين يتسلل لواذاً من أبواب هذه القرية قبل ثلاثين عاما ، وقد جلله عار السرق وحز فى بدنه وثاق السجن ؛ هو وليم شكسبير نفسه الذى أبى أن يمحو عار ذلك الهرب فى سواد الليل البهيم بغير هذا العود المظفر الكريم فى وضح نهار مشرق سنى ..

وكذلك كان شأن تشارلز دكنز الكاتب الروائى الخالد . فقد أنفد فى قرية شاتهام ستة أعوام من طفولته البائسة جابه خلالها الفقر فى أقبح صوره ، وتجرعه فى أمر طعومه . وكان أعظم مايبهره يوم ذاك قصر « جادزهل » القائم على ربوة فى الطريق بين شاتهام وجرافسند ؛ ولقد طالما داعب أبوه مشاعره بامكان استحواذه على هذا القصر إذا هو جد واجتهد ، وأصبح رجلا ذا شهرة ومجد . ولسنا نعجب لهذه الأمنية وابتهالها فى الطموح قدر مانعجب لتشارلز دكنز وهو يعود بعد أربعين حولا فيحققها فى جملتها وفى تفصيلها ؛ بأن يمتلك القصر الجميل

بما فيه ، ويقضى فى رحابه ختام أيام حياته وأطيبها . ولقد طوف دكنز فى مدائن إنجلترا وقراها ماطوف ، وحظى بطيب المقام ولذاذة التكريم فى سويسرا وأمريكا وسواهما من البلدان . . فلم تكن بقعة واحدة فى جنبات هذا العالم الفسيح لتستهوى نفسه بمثل ما استهواها ذلك المكان الذى شهد مذلته وضيمه ، فأبت عليه نفسه إلا أن يشهده — بعد حين — مجده وعزته ونعماءه .

على أن لورد بيرون لم يحظ بما حظى به صاحباه من هذا الشعور الجميل .. شعور التغلب على مصاعب الحياة ، والانتصار على الزمن وأهله فى نفس المكان الذى تسجلت به الهزيمة السابقة [١] ، فقد غلب الموت هذا الشاعر على أعز أمانيه ، وراح يجود بآخر أنفاسه فى ميسولونجى من أرض يونان وهو يتمتم فى مرارة بكلمته الباقية : لست أخاف الموت ... ولكنى أتساءل لماذا لم أذهب إلى إنجلترا قبل مقدمى إلى هذا البلد ! !

* * *

ونحن إذ ننتقل فنتصفح سجل الأدب العربى نرى الأصمعى — راوية البصرة — أحد من دُهُوا بعنت الأقربين ، ومنوا بكيد الأكفاء . فقد نشأ بالبصرة مقلاً رقيق الحال إلا من ذكاء مفرط ونفس وثابة طموح .

وكان مايلقاه من شيخه عطاء بن مصعب — وقد تفتحت على يديه أزاهير عبقريته — أمراً رائعا عظيما . بلغه يوماً أن الأصمعى اتخذ حلقة ، واجتمعت إليه فيها جماعة ، فغاظه ذلك . ولما فرغ من حلقته استتبع أصحابه فقال : مروا بنا إلى ظاهر البصرة ! . . قال راوى الحديث [٢] : فخرجنا حتى مررنا بشيخ معه أعنز برعاهن وعليه جبة صوف : فقال له : يا قريب . فقال : لبيك ! قال : مافعل ابنك الأصمعى ؟ فقال : هو عندكم بالبصرة فقال : هذا أبو الأصمعى لئلا يقول هذا إنه من بنى هاشم ! !

ويذكر القاضى التنوخى فى كتابه (الفرج بعد الشدة) قصة الأصمعى مع أحد البقالين على باب بيته بالبصرة ، وما كان يعيره به من الفقر ، وينعيه عليه من انصرافه عن طلب المجدى من شئون العيش ، حتى قال له مرة : يا هذا اقبل وصيتى . أنت شاب فلا تضيع نفسك ، واطلب معاشاً يعود عليك نفعه ، وأعطنى جميع ما عندك من الكتب أطرحها فى هذا الدن وأصب عليه من الماء للعشرة أربعة ، وأنبذه ، وانظر مايكون منه .

على أن ضائقة الأصمعى تفرجت بعد حين ؛ وأقبلت الدنيا عليه حتى أوطأته بساط الرشيد ، فاستفاضت هنالك شهرته ، وأثرى من مال ومن جاه . وكان من أكبر همه يوم ذاك أن يلم بموطن صباه ، فترفق فى استئذان الرشيد حتى أذن له ، وكتب إلى والى البصرة بإكرامه والتحفى به . . قال الأصمعى [١] : فلما كان فى اليوم الثالث تأملت أصاغر من جاءنى ، فاذا البقال وعليه عمامة وسخة ، فقال : كيف أنت ياعبد الملك ؟ فاستضحكت من حماقته وخطابه لى بما كان يخاطبنى به الرشيد . فقلت : بخير ، وقد قبلت وصيتك وجمعت ماعندى من كتب العلم ، وطرحتها فى الدن فخرج ماترى ...

* * *

على أن هذه الذكريات « الشقية » التى تربط الإنسان بموطنه الأول ليست مما يطيف بحياة كل نابغة قلقت فى البلاد ركابه بل ربما كانوا يتخذون الرحلة عن الوطن الأثير الكريم — باباً إلى التقدم فى الحياة ، ووسيلة إلى تحقيق كرائم الغايات فيها : من إحراز مال وجاه ، أو جمع معارف وعلوم ، أو تقويم طبائع مستخذية وشحذ همم كليلة . وقد كان من مواطن العجب عند القوم — ولا يزال — أن يروج أمر من لاينفك حلس بيته ، وأن يحرز معالى الأمور من لم تنهض به همته إلى التغرب فى طلابها [٢] . فليس كل مغترب إذن طريد وطنه أو ضحية ظلم

---

(١) من طرائف ماقرأت أن الألمان وقعوا الهدنة التي فرضوها على الفرنسيين عام ١٩٤٠ م فى نفس المكان من غابة كومبيان ، بل وفى مركبة القطار ذاتها ، التى وقعوا بها شروط الهدنة المفروضة عليهم فى عا. ١٩١٨ (! !)

(٢) انظر ترجمة عطاء بن مصعب فى معجم الأدباء لياقوت

(١) الفرج بعد الشدة للقاضى التنوخى : الفصل السابع : فيمن استنقذ من كرب وضيق خناق ، باحدى حالتى عمد أو اتفاق .

(٢) قال ابن خلكان فى تاريخه ، عند الترجمة لشرف الدين أحمد ابن كمال الدين الأربلي : كان اشتغال شرف الدين المذكور على أبيه بالموصل ، ولم يتغرب لأجل الاشتغال ، وكان الفقهاء يقولون : نعجب منه كيف اشتغل فى وطنه وبين أهله، وفى عزه واشتغاله بالدنيا ، وخرج منه ماخرج ؟ انتهى .

مواطنيه ، وإنما قد يفارق وطنه وأهله من لايزال يحن إلى سالف سعادته هنالك حنين النيب إلى أعطانها ، وقد يبلغ إلحاح هـذه الذكريات السعيدة على النفس حداً تفوق به شق الذكريات وما تدفع إليه من رغبة التشفي وتذوق حلاوة الانتصار ، مما ضربنا له الأمثال آنفا .

وكان طاهر بن الحسين الخزاعى ، قائد الخليفة المأمون والملقب بذى اليمينين ، أحد من أضناهم هـذا الشعور الأخير .. شعور الحنين إلى الوطن وتعلق النفس بذكريات سعيدة فيه — حتى لنغص عليه من سروره الحاضر وسعادته المستأنفة .

قال له بعض جلسائه يوما وقد بلغ من الجاه فى دولة المأمون ما بلغ : ليهنك ما أدركته من هذه المنزلة التى لم يدركها أحد من نظرائك بخراسان . فأجاب طاهر : ليس يهنيني ذلك ، لأنى لأرى عجائز « بوشنج » يتطلعن إلىّ من أعالى سطوحهن ..

وإنما يقول ذلك لأنه ولد ببوشنج وبهـا نشأ ، وكان جده عليها حاكما . وممن اجتمع لهم شق الذكريات وسعيدها ، فحدا بهم إلى أوطانهم حاديان ، وتمهد أمامهم نحوها سبيلان مهيعان — نبينا محمـد عليه أفضل الصلوات .. فى مكة نشأ وتربى ملحوظا بعناية من ربه ، كريماً على نفسه وعلى قومه ، يظله من قبيلته أرفع لواء ويكنه فيها أشرف بيت ؛ وفى مكة أيضاً لقى الإعراضَ والأذى من قريش صنوفا . فيها لقّب الصادق الأمين حقا وإنصافا ، ثم وسم بالشاعر والكذاب بغياً وإسرافا .

فليس عجيباً بعد هذا أن يكون حنينه إلى مكة قويا بليغاً يؤرثه شوق غلاب إلى عهود هنالك كريمة ومشاهد محببة أثيرة ، وأن ينضاف إلى هذه الحنين شعور آخر قوى بالرغبة فى مجابهة هؤلاء القوم الذين أخرجوه من داره مجابهةً يزلزل بها عقائدهم الملتوية ، ويزيل بها تلك الغشاوة التى رانت على أعينهم ، فيعرفوا قدر دينهم فى الأديان ، ومنزلة رسولهم بين رسل الله المكرمين : «قيل ادخل الجنّة ، قال ياليت قومى يعلمون بما غفرلى ربى وجعلنى من المكرمين» .

ومن علائم الشعور الأول ما كان من شأنه صلى الله عليه وسلم يوم قدم عليه أصيل الخزاعى من مكة فقال له : يا أصيل ، كيف تركت مكة ؟ قال : تركتها وقد أجحش ثُمامها وأمْشر سلَمُها وأعذق إذخرها . فجاش صـدره الطاهر بأرق الحنين وأحر الاشتياق ، ثم غمغم يقول : دع القلوب تقر !(١)

* * *

ألا لله ما أحلى العز والكرامة فى أرض الوطن ! فلمثلهما يتجرع العقلاء كئوس الذل والمهانة مغتربين . يتحمون مشاق التطواف طلباً لدعـة المقام ، ويقتعدون ظهور المعاطب التماساً لمواطئ النجاة ومهابط الأمن والسلامة :

تقول سليمى لو أقمت بأرضنا ... ولم تدر أنى للمقام أطوّفُ

رب خفض تحت السرى، وغناء ... من عناء، ونضرة من شحوب!

وليس يحس قدر هذه النعمة إلا كبار النفوس ممن يغالبون الأيام فيقتلون أو يُقتلون ، ويشربون كئوس الحياة من أرْى وشرى حتى الثمالة ... ولعل فى رأس القائمة من هؤلاء كافىَ الكفاة الصاحب بن عباد — وزير آل بويه — قال القاضى الجرجانى فى بعض حديث له عنه : إن الصاحب يقسم لى من إقباله وإكرامه بجرجان أكثر مما يتلقانى به فى سائر البلاد . وقد استعفيته يوماً من فرط تحفيه بى وتواضعه لى فقال :

أكرمْ أخاك بأرضِ مولده ... وأمدَّه من فعلك الحسن

فالعـــز مطلوب وملتمسٌ ... وأعزُّه ما نيـلَ فى الوطن

ثم قال : لقد فرغتَ من هـذا المعنى فى العينية ، فقلت : لعل مولانا يريد قولى :

وشيدتُ مجدى بين قومى فلم أقلْ ... ألا ليت قومى يعلمون صنيعى

فقال : ما أردت غيره ، والأصل فيه قوله تعالى : ياليت قومى يعلمون ، بما غفر لى ربى وجعلنى من المكرمين .

للكلام بقية

محمود عزت عرفه

المدرس بقوص الأميرية

---

(١) وفى أمالى القالى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع بلالا ينشد هذا البيت :

ألا ليت شعرى هل أبيتن ليلة ... بواد وحولى إذخر وجليل

فقال : حننت يا ابن السوداء !

امرأة وشيطان

للأستاذ علي محمود طه

[من إحدى قصائد ديوان
الشوق العائد الذى يصدر قريباً]

ودنا الليلُ ورنَّت صدحةٌ   نبَّهته حين لا يبغى انتباها
وإذا مقصورةٌ من حولهِ   خالها تَنْبِضُ بالروح دماها

وقفتْ غانيةٌ فى بابها
قد تعرَّتْ غيرَ فضلٍ من حُلاها
ثم نادت : يا « أحبايَ انهضوا
واغنموا الليلة حتى منتهاها »

وتلاشى الصوتُ لا رجعَ صدًى
لا ولا ثمَّ مجيبٌ لنداها
فعرتها رِعدةٌ ، فالتفتتْ ، فرأته ، فتلقاها وِجاها
أبصرتْ وجهاً كوجه المِسْخِ لم
يَتَقَنَّعْ ، شاهَ هذا الوجهُ شاها

ورأتْ كفَّيهِ يَنْدَى منهما   أَرَجُ الزهرِ فأجَّتْ نظرتاها
عرفتْ ما اجترحتهُ يَدُهُ   أو لا يعرفُ من داسَ حماها ؟
يا لهذا المسخ ! دوَّتْ ومَشتْ   صيحةٌ يُنذر بالويل صَداها
فانثنى الشيطانُ عنها صارخاً   أتُراها تتحدى ؟ مَن تُراها ؟

فَبَدتْ فى شفتيها آيةٌ
من مُبينِ السِّحر ، أوما فمحاها

فدَنتْ ترمقهُ فاختلجتْ   عينهُ ، حين أشارت بعصاها
بُدِّلتْ تلك العصا جمجمةً   رِيعَ لمَّا شرعتْها فاتَّقاها
هى من مَلْكةِ جنٍّ من نُصبٍ   يخترمْنهُ بالمنايا محجراها
فتنحَّى غاضباً مبتئساً   وتنحَّتْ والأسى يُلجِمُ فاها
وسجَى بينهما الصمتُ الذى   يتغشَّى الأرض إن خان رداها
والتقتْ عيناهما فستروحـ   ـراحةً من قبلها ما عرفاها

عرفتْ من هو فاستخذتْ له   ورأى من هيَ فاستحيا قُواها
قال : أختاهُ اغفرى لى نظرةً   اشتهتْ كلَّ جمالٍ واشتهاها
واغفرى لى شِرَّةً عارمةً   فى دمى ، لو أتأبَّى ما أباها
يا لهذا الدمِ ! ما عنصرُهُ ؟   كلُّ ما فى النار من وقدِ لظاها !
فأجابتْ : زهراتى رُدَّها   إن تقُلْ حقَّاً ولا تبْغِ أذاها
قال : لا أذكرُ إلا حُلُماً   لحظةً ضلَّ بها عقلى وتاها
أأنا من تتخطَّى قدَمى   مَسبحَ الشمس فيربدُّ ضحاها
أأنا من يطفئُ النجمَ فمى   وأردُّ الارضَ غرقى فى دُجاها
وتمسُّ القممَ الشمَّ يدى   فيُرى منحدِراً لى مُرتقاها
وأجيءُ الارضَ من محورها   فإذا بى يتدانى قُطباها
أتُرانى عاجزاً عن دَرْكِ ما   تتمنَّى امرأةٌ ؟! عزَّتْ مناها !
آهِ ما أضعفَ سلطانى وما   كنتُ إلاَّ بغرورى أتباهى !!

قالتِ : الآنَ سلاماً زائرى
ورِضَى نفسىَ إن رُمْتَ رضاها
أيها الشيطانُ ما أعظمَ ما
قلْتَهُ ، ما قُلْتَ لغواً أو سفاها
زَهَراتى تلك ، ما كانت سوى
شهواتِ جسْمىَ الطاغى نماها

قهرتنى واستذلتنى بها   غَيْرَةٌ ينهشُ قلبى عقرباها
وأنانيةُ أنثى لم تُطِقْ   فاتناً تمْلِكُه أنثى سواها
قد صنعتَ الحقَّ قد عاقبتَنى   فارحمِ المرأةَ فى ذُلِّ هواها

فدنا منها فألفتْ وجههُ
غير ما كانَ ، لقد ألفَتْ أخاها !

قرَّبتْ بينهما روحُ الأسى   فاجتبتْهُ بعد حقدٍ واجتباها
واستهلَّتْ دمعةٌ من عينها   دمعةٌ رقَّتْ وشفَّتْ قطرتاها
ضُمِّنَتْ كلَّ عذابٍ وضنًى   كلُّ ما فى النفس من بثِّ أساها
ورآها فتندَّتْ عينهُ   رحمةً ، فاحتال يُخفى من بكاها

وبكى الشيطانُ ! يا لامرأةٍ
أبكتِ الشيطانَ لمَّا أنْ رآها ! !

علي محمود طه

سياسة التعليم ووحدة الأمة

للأستاذ عبد الحميد فهمي مطر

يجد الناشىء فى مصر اليوم أبواباً مختلفة للدخول إلى الحياة التعليمية . فالوالد يرى أمام عينيه لابنه أنواعاً من المدارس متعددة : المدرسة الإلزامية ، والمدرسة الأولية ، والمدرسة الابتدائية ، ومدرسة تحفيظ القرآن الكريم ، وأخيراً المدرسة الريفية التى ظهرت حديثاً . فإلى أيها يتجه الولد وفى أيها يستمر ؟

وبجانب هذه الحيرة من الوالد نجد السرور من المواطن الذى لم ينظر إلا نظرة سطحية إلى هذه الأنواع الكثيرة من المدارس فسره تعددها معتقداً أن ذلك يفسح المجال أمام الناشىء للسير قدماً فى حياته التعليمية وأن التعليم الشعبى فى بلادنا قد تدرج فى مدارج الرقى وتقدم تقدماً سريعاً فى تطوره وتنوعه فى سبيل إنشاء جيل جديد مغامر مجاهد فى نواحى الحياة المختلفة ، غير أن نظرة أعمق من تلك النظرة السطحية كفيلة بأن توحى إليه بشعور آخر خصوصاً إذا درس تاريخ تلك الأنواع . فهذه المدارس البدائية فى التعليم ، لم تنشأ نتيجة تجارب وأبحاث علمية كما هو الحال فى غير هذه البلاد ، ولكنها نشأت كما نشأ غيرها أحياناً فى مراحل التعليم الأخرى نتيجة أفكار وآراء ارتجالية بحتة من أشخاص وأتاهم النفوذ والسلطان ردحاً من الزمن تبين لهم فى خلاله شىء من العيب أو النقص فى نوع ما من أنواع التعليم ، فلم يفكروا جدياً فى إصلاحه وتركوه جانباً يتخبط فى عيوبه حيث هو واتجهوا إلى خلق نوع جديد خال كما ظنوا من ذلك العيب أو النقص الذى تبينوه ، وأطلقوا على مولودهم اسماً جديداً ليتميز عن قديم غيرهم .

كما حدث أخيراً فى المدارس الريفية التى تكاد تطغى الآن على المدارس الإلزامية والأولية . وفى المدارس الثانوية الزراعية ، والتجارية ، والصناعية التى حلت محل المدارس الفنية المتوسطة . وكما حدث قديماً فى قيام معهد التربية العالى والابتدائى على أنقاض مدرسة المعلمين العليا والمتوسطة وفى قيام كليات فى الأزهر الشريف تناهض دار العلوم ومدرسة القضاء الشرعى ، وكليات الجامعة تتبعها معاهد دينية ثانوية على غرار المدارس الثانوية المدنية تؤهل للكليات الأزهرية ومعاهد ابتدائية دينية على غرار المدارس الابتدائية تؤهل للمعاهد الدينية الثانوية الخ .

وكانت نتيجة وجود هذه التشكيلات المختلفة التى نشأت فى دور التعليم أن خرجت جماعات من أبناء البلاد الواحدة مختلفة الثقافات متعددة الشهادات تعمل فى مهنة واحدة مما حدا بوزارة المالية أن تكدح شهوراً طوالا فى تقدير درجات تلك الوريقات وتقديم ما يستحقه حاملها من مرتبات وعلاوات فى مختلف الوظائف الحكومية ، وقامت بين تلك الطوائف المختلفة المشاحنات على ما تستحقه هذه الطائفة أو تلك من مرتبات ودرجات . وياليت الأمر اقتصر على ذلك فانا نجد أن كل وحدة من وحدات الطائفة الواحدة أو كل فئة من فئاتها تتعصب فى نفسها لمدرستها وثقافتها عاملة على رفع شأن نفسها على أنقاض الفئة الأخرى مجدة فى تأليف النقابات لمناهضة غيرها والفوز عليها مقدمة ذلك كله على الصالح العام المشترك .

خذ لذلك مثلا طائفة رجال التعليم والمعلمين وهى تلك الطائفة الكبيرة التى بلغ عددها آلافا مؤلفة والتى كان يجب أن تحمل لواء النهضة فى البلاد لمركزها العلمى من جهة ولتغلغلها فى القرى والمدن من جهة أخرى إذ تجد منها العشرات فى القرية الواحدة موزعين على المدارس الإلزامية والأولية والريفية كما تجدمنها المئات فى المدينة الواحدة بين جدران المدارس الإبتدائية والثانوية والصناعية والزراعية والتجارية ، هل ترى بين رجالها شيئاً من التآلف والتعاون على الصالح العام فى سبيل النهوض بأبناء البلاد ورجال مستقبلها ! وهل تجد تلك الوحدات من رجال التعليم فى اقليم ما يجتمعون اجتماعاً جدياً للبحث فى حالة التعليم فى إقليمهم ؟ انهم مع الأسف لايجتمعون إلا لتكريم زيد أو بكر الذى سيساعدهم فى الحصول على الدرجات والعلاوات .

والأدهى والأمر من ذلك ما تجده فى المدرسة الواحدة من تنافر بين الوحدات المختلفة الثقافة المتباينة التفكير ! فقد تجد فى المدرسة الواحدة الابتدائية أو الثانوية واحداً أو أكثر من رجال البعثات ، وآخر من خريجى جامعة فؤاد ، وثالثاً من خريجى المعلمين العليا ، ورابعاً من خريجى دار العلوم ، وخامساً من خريجى الجامعة الأزهرية ، وسادساً من خريجى المعلمين الثانوية ، وسابعاً من خريجى الفنون الجميلة العليا ، وثامناً من خريجى الفنون والصنائع ، وتاسعاً من خريجى المعلمين المتوسطة ، وعاشراً من خريجى الفنون التطبيقية ، وغيرهم وغيرهم

من خريجي معهد التربية العليا ، ومعهد التربية الابتدائي ، وحملة البكالوريا وغيرهم ؛ وإني أذكر أنه قد اجتمع لدى لما كنت ناظر لإحدى المدارس الابتدائية تسعة أنواع من هؤلاء ، فكان لا يمر يوم واحد بدون مشاحنة بين بعضهم البعض، فكيف يظن متفائل أن عدداً من هؤلاء إذا اجتمعوا في مدرسة يمكن لهم أن يتفقوا ويتفاهموا في سبيل صالحها ! فما بالك بما ينشده كل معهد على من التضافر والتعاون في سبيل النهوض به وبأبنائه ! إن التعاون في مثل هذه المدرسة مستحيل لأن كل ضعيف من هؤلاء يفكر في الدفاع عن نفسه أو هاجه غيره وأظهر امتهانه لثقافته ، ولأن كل قوى منهم يحاول أن يهاجم غيره ويقلل من أهميته ، ومصلحة التعليم ضائعة بين الكر والفر والهجوم والدفاع ! لا يفكر فيها مفكر وليس الأمر في هذا التنافر قصراً على التعليم وحده ، ولكنه يتعداه إلى غيره من مرافق البلاد الحيوية خصوصاً تلك التي تسيطر عليها عناصر مختلفة الدراسات والثقافات . فهذه الحال نجدها بين رجال القضاء الأهلي والشرعي في المجالس الحسبية خاصة . كما نجدها بين رجال القضاء الشرعي فيما بينهم من طائفتي خريجي الجامعة الأزهرية ، وخريجي مدرسة القضاء الشرعي !

وهذه الحال نجدها بين طوائف المهندسين من خريجي كلية الهندسة وخريجي المدرسة التطبيقية وخريجي الفنون الجميلة العليا وخريجي الفنون والصنائع على النظام القديم والحديث ! ثم إن هذه الحال نفسها نجدها مع الأسف في قادة الرأي والزعماء المشرفين على مصالح البلاد العامة كلها ! فيا له من انقسام وانحلال يكاد يهوى بنا ! وكان للتشعب والتنوع في التعليم الواحد أثره الفعال فيه ! لقد نبهنا من سنين عدة إلى ضرورة رسم سياسة تعليمية عليا توجه التعليم في البلاد توجيهاً صالحاً في سبيل التوحيد والتعاون ولكنا مع الأسف لم نجد سميعاً ! فكان ما نراه من تخاصم وتنافر وتناحر!

وإذا كان اليوم قد تولى أمور التعليم رجل عالم واسع الفكر فانا نهيب به أن يعمل جاهدا في سبيل الوحدة بوضع التعليم والثقافة في هذا البلد على أسس قويمة تكفل الوحدة وتدفع إلى التعاون والتآزر بدلا من التخاصم والتنافر . إن ثمرة ذلك لا تأتي إلا بعد زمن طويل ولكن الفخر للوزير العامل الذي سيضع إن شاء الله بذور ثقافة موحدة تنمو وتزدهر في مستقبل الأيام وتستمر على مدى الأيام حاملة اسمه في سجل العاملين الخالدين .

عبد الحميد فهمي مطر

هذا العـــالم المتغير

للأستاذ فوزى الشتوى

الفأر يختار لنا طعامنا ؟

هل فقدنا وراء جرينا وراء الحقيقة حواس وغرائز زودنا بها الله ؟

يصرح العلم بأننا أضعنا كثيراً من غرائزنا أو على الأقل سيطرنا عليها فأصبحت لنا قوانين وتقاليد تحكم تصرفاتنا . ويرى خواص الحيوانات مميزات ليست فى الإنسان . وعلى هدى هذه الغرائز يعيش الحيوان فيختار ما يفيده ويرفض ما يضره ، ويتصرف بما يقى نوعه .

ومن التجارب التى أجريت أخيراً ما وفق إليه البروفسور رشتار فى أبحاث أجراها على الفيران لاختبار قدرتها الغريزية على اختيار الغذاء المفيد لها فى الحالات المختلفة . فعمد إلى مجموعة من الفيران الكبيرة السن فأطلقها لتشرب كما تشاء من ماء نسبة الملح فيه ٣ ./. ثم أزال غددها التى تعلو الكلى فكانت النتيجة عجيبة إذ شربت الفيران كمية كبيرة من الماء المالح .

وأزال الغدد التى فى العنق فازدادت شهية الفيران إلى المواد الجيرية وغيرها من المواد المعدنية . ثم قسم البروفيسور رشتات وجبات الطعام إلى أكوام نقية من النشويات والزلاليات والدهنيات والفيتامينات ، وزن كل منها محدود . وأعد أيضاً أوعية بسوائل تحتوى الأملاح المختلفة والفيتامينات وزيت كبد الحوت وكل مادة أخرى يراد اختبارها ، فاختارت الفيران وجبات الغذاء اللازمة لها كأن إخصائياً فى التغذية أوصاها بتناولها .

وتناولها مبعضه مرة أخرى فأزال البنكرياس من كل منها فأصبحت معرضة للاصابة بمرض السكر ، فامتنعت الفيران عن تناول أى غذاء فيه سكر أو نشاء ، واستهلكت كميات كبيرة من الدهن تماماً كما يوصى الطبيب مريضه .

وهكذا كلما استأصل منها الطبيب عضواً عوضت الجرذان عمله باختيار الطعام الملائم لها أو امتنعت عن الأغذية التى تضرها .

وكانت فى كل مرة تقدم للبروفيسور رشتار قائمة بالأغذية التى يجوز تناولها والتى لا يجوز .

فهل جرد الإنسان من مثل هذه الغريزة التى ترشده إلى الغذاء الصالح له ؟ لقد عاش الإنسان ملايين السنين معتمداً على حاسة الذوق وحدها فلم يرشده طبيب ولا إخصائى عما يجوز تناوله من الأغذية وما لا يجوز .

إن تقدم العلم وحده حول من وسائلنا وطرقنا فى الحياة فمنع وأجاز بناء على اختبارات ثابتة . ولكنه لم يقل كل كلمته ، ولم يكشف عن كل أسراره . فمنذ مئات السنين عرف الإنسان أن التغذية ليست خبزاً وإداماً ، بل هى ما فى هذا الخبز والإدام من وحدات حرارية تحرك أجهزة الجسم فرأينا أنفسنا كغلايات وقودها الطعام .

واكتشفت الفيتامينات فعرفنا سراً آخر ، وأدركنا أن الأجهزة الإنسانية لا تعمل بالوحدات الحرارية فحسب ، بل إن نشاطها ومرضها يعتمدان إلى حد كبير على حيوية هذه المواد التى أطلقنا عليها الحروف الهجائية ، فالاعتماد على اللحم وحده مع وفرة كمياته الحرارية لا يمنع الجسم من الانحلال إن لم تعضده مجموعات الفيتامينات .

فنقص الفيتامينات فى الجسم يؤدى إلى عدة أمراض تبدأ من الالتهابات الجلدية فإن استمر نقصها أوصلت الإنسان إلى الموت ، ولا عبرة فى هذا بوفرة الوحدات الحرارية التى يحتويها غذاء الإنسان فى وجباته . على أنه من الثابت أيضاً أن كمية الوحدات الحرارية التى تنتجها المواد الغذائية ذات أثر كبير فى نشاط الإنسان ، فالعامل الذى يشتغل بعضلاته يحتاج إلى كميات طعام أكثر من الموظف الذى يؤدى الأعمال الكتابية .

وتقودنا أبحاث البروفسور رشتار إلى نتيجتين : أولاهما أن يؤدى التوسع فى أبحاثه إلى معرفة دقيقة لأنواع الأغذية الملائمة للأمراض المختلفة مما يساعد الطبيب والمريض على سهولة الشفاء أو توقى المرض .

والثانية هى حاسة التذوق ، فإذا كانت الجرذان بفضل هذه الحاسة تجيد اختيار طعامها فكيف نصقلها فى الإنسان ، وما هى على التدقيق ، فقد ثبت من هذه التجارب أن الجرذان تفضل الغذاء الطبيعى الغنى بالوحدات الحرارية وبالفيتامينات وغيرها من المواد



إيزرهــــادن

للكاتب الروسي تولستوي

للأستاذ زكي شنوده

انقض إيزرهادن ملك الأشوريين انقضاض الوحش على دولة الملك ليالى، فعذب فيها الناس، وخرب منها المدن، وأطلق فى أطلالها ألسنة النار تأكل مابقى من معالمها وأخذ كل من فيها أسرى، وهنالك ذبحهم وأتى ملكهم فى غيابة السجن.

وبينما هو مستلق ذات ليلة فى فراشه يفكر فى أفظع الوسائل لقتل الملك الأسير إذ سمع حفيفاً خفيفاً يقترب منه فرفع عينيه فرأى أمامه شبح رجل طويل القامة أبيض اللحية فى عينيه وداعة وسلام يقترب منه ويهمس فى مسمعه هل حقا تريد أن تقتل ليالى؟

فقال الملك: هذا ما أريد فخبرني ربك كيف السبيل؟

فقال الكهل: ولكنه أنت!!

قال — أنا من؟

— ليالى

— ويحك هل جننت؟ إن ليالى هو ليالى وأما أنا فهو أنا!

— وهمت ياصاحبي فأنت وليالى كل لايتجزأ.

— ولكن لا أفهم: فها أنذا مستلق على فراش وثير، وحولي الجوارى والغلمان، وغداً سوف أجلس مع صحابى على سماط نأكل حوله الآكال ونشرب الأشربة ونتسار ونتسامر كما فعلنا اليوم وكما فعلنا بالأمس. بينما ليالى هنالك ماقى فى سجنه كطائر فى قفص، وغداً يخوزق، ويعلق من لسانه فيظل يتخبط حتى يأخذ روحه الشيطان.

قال الشيخ: ولكنك لن تسلبه الحياة!!

الضرورية للحياة. وهى بهذه الحاسة تدرك من مطالبها أكثر مما يدرك الإنسان.

لماذا لا تحترق الشمس؟

لو كانت الشمس مجموعة عادية من الغازات المحترقة لزالت من عالم الوجود. ولو كانت كمية من الفحم المحترق لاستهلكت كميته من قرون مضت. ويعلل العلماء بقاء الشمس إلى الآن بأنها تتكون من غازات مرتفعة الحرارة إلى درجة تمنعها من الإحتراق.

فالاحتراق نوع من التأكسد ونظن عادة أنه يحدث بالحرارة، ومن المحتمل أنه إذا كانت الحرارة شديدة جداً فان التأكسد يمتنع وهذا ماحدث للشمس فعلا. فدرجة حرارة غازاتها مرتفعة جداً إلى حد يمتنع فيه التأكسد والاحتراق.

ويعرف العلماء الذين يدرسون الشمس أن درجات الحرارة المرتفعة تحلل المركبات الكيميائية وتقسمها لعناصرها الأولية المختلفة، ولهذا فان الغازات المكونة للشمس هى خليط آلى من العناصر الأولية. ولايوجد فيها مركبات كيميائية بتاتاً فان الخلط آلى وليس كيميائياً.

ونحن نعرف أن الشمس تفقد حرارتها التى نستفيد منها، على أن هــذه الحرارة تفقد ببطء ينتظر معه أن تعيش عدة بلايين من السنين.

تربية الأسماك

عندما هددت الغواصات الألمانية الشعب الإنجليزى بالجوع كلف معهد الصناعات الكيميائية الامبراطورى السير جون جراهام كر والبروفيسور جروس باجراء التجارب لزيادة المحصول القومى من الأسماك. وأفردت للعالمين بحيرة يجريان فيها تجاربهما فى إحدى خلجان اسكتلندا.

وبعد عدة محاولات نجحا فى تحقيق المطلوب منهما إذ تمكنا من زيادة اخصاب البحيرة بالنترات والفوسفات التى كان يتغذى بها السمك الصغير، وهو الغذاء الطبيعى للأسماك الكبيرة.

وبهذه الطريقة نمت الأسماك بسرعة غريبة فان حجمها ووزنها زاد فى شهر أو شهرين زيادة كبيرة كانت تستلزم ثلاث سنين بطرق التغذية العادية. وكانت النتيجة أن شباك الصيد وجدت فى الأسماك كمية وافرة فبلغ وزن بعض الأسماك ٢٠ ضعفاً لوزن مثيلاتها فى العمر.

فوزى الشتوى

— إذن ما رأيك ياشيخي العزيز في الأربعة عشر ألفا من الجنود الذين اقتلعت من حلوقهم الأرواح وصنعت بأجسادهم رابية كجبل الهند . فأين هم الآن ؟ لقد قتلتهم وليس ثمة لهم وجود وها أنذا من أحادثك وتحدثني بترهاتك يا شيخ المخرفين .

— ومن يدريك أن لا وجود لهم ؟

— يدريني أنني لا أراهم الآن وقد أكلتهم بالأمس جوارح الطير أمام عيني .

— وفي هذا كذلك أنت واهم فما فعلت إلا أن قتلت نفسك .

— ربك ألا تدعني أفهم هذا الذي تهذي به ؟

— أو تريد أن تفهم ؟

— نعم .

— إذن تعال . .

وأشار الشيخ إلى طست فيه ماء وقال للملك اجلس فيه ، فنهض الملك من سريره ، وجلس في الطست . وأمسك الشيخ بقارورة تشف عن سائل ، وقال للملك أحن رأسك فأحناه ، فسكب عليه من ذلك السائل فانتفض ثم شعر بأنه إنسان آخر : ورأى نفسه فجأة متكئا على سرير وثير إلى جانب امرأة كاللؤلؤة ما رآها من قبل بل عرف ساعتئذ أنها زوجته . ونهضت المرأة قائلة له أي ليلى زوجي العزيز ، لقد رأيت أعمالك بالأمس متعددة متعقدة ، أنهكت قواك فرحت مع النوم أكثر من كل يوم ، فضع على منكبك الرداء ، وهب يامولاي إلى البهو الأعظم حيث الأمراء والحكماء ينتظرون .

فقام إيزرهادن وقد وقر في نفسه أنه ليلى ، وعجب كيف لم يعرف نفسه من قبل ؟ ! ثم تزيا وتمنطق وتهادى في جلالة الملك إلى البهو الأعظم حيث يسوس مع أعوانه شؤون الناس .

حيا الأمراء ملكهم ليلى وقد عنت منهم الوجوه ، ثم جلسوا بأمره واستهل كبير الوزراء الكلام فقال إنه من المستحيل أن تتغاضى المملكة عن تلك الإهانات الوقحة التي مايفتأ يوجهها إليها الملك المفتون الأحمق إيزرهادن ملك الأشوريين وإن لم يكن ثمة بد من القتال فإنها الحرب

ولكن ليلى انتفض ورفض ، وقال إن الأمور تصرف بالسلام لا بالصدام . وأصدر أوامره بأن يبعث من لدنه رسلا يفاوضون الملك الأهوج إيزرهادن وزود الرسل بما يقولون ويفعلون ، ثم بعث بهم على بركة الله .

وبعد أن نظر الملك ماعليه — في شؤون الملك من عمل خرج يقتنص من لفائف الغاب طرائد الوحوش ، فتلك هي صبابته ولذة نفسه منذ كان في أكناف أبيه يافعا ، وما كان أسعده في هذا اليوم إذ صرع بسهمه المراش مجلين من أخل مجول الأحراج . نظر كذلك إلى هذه اللبؤة العرفاء التي جاءت نحوه تتهادى في دلال الإناث وإقبال الأسد ، وعاد الملك بالقنائص طروبا ، وقضى الليل مع ندمائه في قصف ورقص .

وهكذا عاش الملك مقسما بين ضرورات الحكم ومسرات القلب أياما وأسابيع في انتظار عودة الرسل الذين بعث بهم إلى الملك إيزرهادن ، وعاد الرسل بعد شهر ولم تعد معهم أنوفهم ولا آذانهم ، إذ أن الملك ايزرهادن قد أخذها رهينة على أن يقولوا لمليكهم ليلى إن ما حل بهم سيحدث له كذلك إن هو لم يحمل على ظهور المطايا أوساقا من الفضة والذهب والأخشاب الثمينة ويقدمها للملك ايزرهادن ومن خلفها يذهب الملك ليلى بنفسه ويقدم للملك العظيم فروض الولاء

وجمع ليلى أمراءه فتشاوروا ودبروا وقدروا ، وقرروا أن الملك قد أهين ، وبالإجماع أعلنوها حربا على ملك الأشوريين ، وعلى رأس جيش يتقد حمية وحماسة كان الملك ليلى يزحف الى عدوه وقضى سبعة أيام يكابد هو وجيشه مشقة السفر ووعثاء الطريق .

وفي اليوم الثامن تقابل الجيشان في بطن واد مكشوف . ويا أكثر ما روع الملك الباسل ليلى إذ رأى جيش غريمه ينهمر كالسيل من أعلى الجبل ويكتسح الوادي بآلاف مؤلفة فدافع ليلى بمقاتليه دفاع الأبطال .

ولكنه سرعان ما جرح وحمل أسيراً وذهب جيشه من قتيل وأسير وسيق به وبهم إلى نينوى حيث ألقي الملك في كهف منسوج بالقضبان . .

ولم يعان الملك ليلى فى هذا الأسر من آلام الجوع وإيلام الجروح كما عانى من آلام الروح : فها هو ذا ملطخا بالخزى والعار لا حول له ولا قوة ، يكابد عذابه وأوصا به شجاعا صابراً لا شاكيا ولا متذمراً .

اثنتا عشر يوما ينتظر الملك الموت وهو يرى فى كل لحظة خلصاءه وندماءه يساقون إلى الذبح كالخراف ولكنه تجمّل وتحمل وكتم : رأى زوجته التى يحبها كل الحب مغلولة اليدين يسوقها عبدان إلى حيث تأتى مع جوارى إيزرهادن فسكن وسكت .

وأخيراً صرصرت السلاسل وفتح باب السجن ، ودخل جنديان ، فأنهضا الملك وكبلاه بالحديد وساقاه إلى ساحة الإعدام ، وخلعوا أثواب الملك وزجروه وزجوه إلى حيث الموت ، وحينئذ صاح الملك : إنه الأجل . لا أستطيع . وفقد الملك شجاعته وبكى ، ووقع الملك على أقدام الجلادين يبكى ويسترحم ، ولكن لا سامع ولا مجيب . وشهروا السيف وأرادوا أن يهووا به على عنقه .

وهنا صاح الملك : هذا لا يمكن . إنه حلم ، ونفض الملك رأسه فعاد كما كان : إيزرهادن .

وقال إيزرهادن : يا إلهى كم قاسيت من العذاب . وكم طال هذا الكابوس .

فأجاب الشيخ ذو اللحية : كم طال هذا الكابوس ! ؟ إنه لحظة يا صاحبى دونها غفوة العين ... فهل فهمت الآن ؟

فنظر الملك فى رعب ولم يجب .

فقال الشيخ أرأيت أن ليلى هو أنت ، وأن الجنود الذين عذبتهم وقتلتهم ليسوا أحداً غيرك ؟ إنك تظن أيها الملك أن الحياة تجرى فى عروقك وحدك ، ولكنى أريتك أنك بعمل الشر للآخرين إنما عملته لنفسك لأن الآخرين وأنت شىء واحد ، فالحياة واحدة فى الجميع وإنما حياتك جزء من هذه الحياة العامة وصورة منها مصغرة : وإلا فخبرنى هل يمكنك أن تجعل الحياة أسوأ مما هى أو أحسن مما هى ؟ هل يمكنك أن تمدها حتى تطول ، أو تقبضها حتى تقصر؟ ... كلا فما فى استطاعتك أن تحقق الحياة إلا فى نفسك وذلك بأن تحطم الحواجز بين حياة الآخرين وحياتك ، وبأن تنظر إلى الآخرين النظرة التى تنظرها إلى نفسك وتحبهم كما لو كانوا منك . بهذا تزيد نصيبك فى الحياة ، إنك تنظر إلى حياتك كأنها الحياة الوحيدة فى الكون وتريد أن تزيدها بما تأخذ من حياة الآخرين ، وأنا أقول لك إنه بنفس هذا العمل إنما تخطىء فى حق نفسك لأنه مستحيل وفوق قدرتك أن تسلب الحياة التى توجد فى الآخرين . وخطأ أن تظن أن حياة الذين قتلتهم قد اختفت لأنك لا تراها فهى اختفت عن ناظريك فحسب ولكنها لم تختف فى الواقع أبداً ، فالحياة لا تعرف الزمان ولا المكان . حياة لحظة وحياة ألف عام وحياتك أنت وحياة كل الكائنات الكثيرة والمتنوعة فى الوجود ، كل هذا سواء ، وواحد لا يختلف . مستحيل أن تسلب الحياة أو تهبها لأحد . الحياة هى الشىء الوحيد الذى يوجد إلى الأبد ؛ وكل شىء عداها نتخيل أنه موجود وهو وهم باطل .

قال الشيخ هذا واختفى .

وفى الصباح أصدر الملك إيزرهادن أمره باطلاق سراح الملك ليلى وإلغاء كل أحكام الإعدام . وفى الثالث استدعى إليه ابنه آشور بانى بال وتنازل له عن الملك بكل قوته وسطوته .

وأما الملك إيزرهادن فقد خرج إلى الغابات يتأمل فى كل ما عرفه وطاف فى المدن والمساكن يبشر الناس بأن الحياة واحدة خالدة ، وأن الناس إذ يسيئون للغير لأنفسهم لأن غيرهم وأنفسهم واحد خالد .

زكي شنوده
المحامى



ضجعة العروس

قصة مصرية

١١٧ صفحة — مطبعة التوكل

للأستاذ محمد عبد الغنى حسن

كنا جماعة فى ندوتنا الأدبية الحرة ؛ وكانت هذه القصة فى يدى ولا أدرى لماذا حملتها وطوفت بها الآفاق . فلفت غلافها نظر صديقنا الدكتور ع . فلم يعجبه العنوان من ناحيـة تناسب الحروف . لأن الحروف فيه متنافرة ثقيلة ؛ والدكتور رجل دقيق الحس فيما يخص الذوق والجمال .

أما أستاذنا المحامى الكبير « ا . ق » فكان اعتراضه على العنوان من ناحية أخرى ... « ضجعة العروس » ؟؟! ما هذا ؟ إنه عنوان لا يليق .

ولعل العنوان الذى اختاره الدكتور . ع . «رقدة العروس» كان أكثر مناسبة وأقل معترضا . لولا أن القضاء سبق فطبع العنوان ولم يبق إلا مجال الاعتراض لا مجال الاختيار والاقتراح .

هذه القصة قصة غرام حطمه الزمان . فأخرجها الأستاذ ابراهيم عز الدين فى ثوب يريك أثر جراحات الزمان وندوبه . وللمؤلف هنا قوة فى التعبير تصور لك المأساة فى أروع صورها حتى ليكاد وصفه كله يقطر بالدماء المتقطرة على مذبح الحياة . لولا ومضات من الفكاهة هنا وهناك تجىء عفواً أحياناً ؛ ويعتمدها المؤلف أحياناً ليروح عن قارئه المكدود بأثقال الحوادث .

وما أبرع المؤلف وهو يصور لنا — خلال مشاهد الأسى — مشهد المقابر وقد زحمتها جيوش المتسولين والفقهاء الذين يرتلون على قبور الموتى آيات من الذكر الحكيم لا يتبينها السامع لطول ما يلوون بها أشداقهم .

وما أبرعه أيضاً وهو يصور لنا « مأذون الناحية » فى أسلوب يسيل فكاهة ومرحاً . حتى لتكاد تنسى فى تضاعيف الفكاهة المتلاحقة فى هذا الشيخ « سعاد » المسكينة المطوية بعد التمرد فى صفائح القبور .

والقصة مملوءة بالجانب « الحكائى » . وبطل القصة يروى لنا بنفسه ما تعاقب عليه من أحداث الليالى فى أحضان النساء . إلا أن البطلة « سعاد » ظهرت متقضبة فى القصة فلا تفتح عينيك حتى تراها صريعة الجحود والنكران ..

وفى خلال القصص ترى للمؤلف حكم الحيـاة مبثوثة فى تضاعيف السطور وهى حكم غير مقحمة ولا مجتلبة . ولكنها تصيب الموضع فتجمل وتصيب فى الأذن والقلب مكاناً . وما أصدق المؤلف وهو يقول فى صفحة ٧٤ (إن مركب الحياة تسير وتمخر فى عبابها ... ولن يثنيها عن طريقها صريع مدرج فى كفن أو وليد مدلل فى مهد) .

وعلى الرغم من أسلوب القصـة القوى فان فى الكتاب استهتاراً كبيراً باللغة . وما قيمة الأسلوب والعبارة إذا خالفا اللغة ونحوها ؟ أليس من حق اللغة على شباب الكتاب أن يهتموا بها اهتمامهم باختيار العبارات .

فى صفحة ٧٨ « الكف الندى » والصواب الكف الندية لأن الكف مؤنثه كما ورد :

فلو كفى اليمين بغتك خونا   لأفردت اليمين على الشمال

وفى صفحة ٧٩ « وهم على وشك أن يفجعونه » والصواب يفجعوه بحذف النون .

وفى صـفحة ٨٩ « كان الشيخ والمرأة فرسا رهان » والصواب فرسى رهان لأن المثنى ينصب بالياء والنون وهو هنا خبر كان .

وفى صفحة ٩١ « إلى العمل فى رابعة النهار » وليس للنهار ثالثة ولا رابعة . وانما هى رائعة النهار بالهمزة .

وفى صفحة ٣٩ « كلا أمعن هذا الرجل تحليلا كلا تعقد » . وكلا لا تتكرر فى الجواب بل تحذف. قال تعالى فى سورة الأعراف

آية ٣٧ (كلما دخلت أمة لعنت أختها) . وقال الشاعر :

أو كلما وردت عكاظ قبيلة بعثت إلى عريفها يتوسم

وفى صفحة ١٥ « ويفرحن لشقوانا » وليس فى اللغةشقوى بمعنى شقاء والمذكور فى المعاجم الشقاوة والشقوة .

وإنى على ثقة أن الأستاذ الكاتب القوى إبراهيم عز الدين لحاول أن يكمل أسلوبه الفاتن ولوحاته الصادقة « برتوش » النحو واللغة فذلك خير لأدبه وقلمه — والسلام .

محمد عبد الغنى حسن

محمود تيمور

رائد القصة العربية

المعجبون بفن محمود تيمور من الشباب السورى كثير . من هؤلاء الأستاذ نزيه الحكيم مؤلف هذه الدراسة الأدبية عن القاص المصرى الكبير التى بدأها بعرض تاريخى عن الأسرة التيمورية ومنشئها وولوع بيتها بالعلم والأدب حتى كان أحمد تيمور باشا وكان ابنه الأستاذ محمود يدرج فى أحضان بيت كريم . فاذا شب بدت عليه مخايل النجابة فهو منذ السن المبكرة يؤلف القصص حتى يجود بهذا الفن المدار الذى عرف به فى الشرق وكانت له اليد السابقة عليه فى نهضة القصة العربية الحديثة .

وفى الفصل الثانى من هذه الدراسة حلل المؤلف الأديب طبع تيمور وسجاياه من حب للخير وهدوء وإنسانية محموضة ظهرت آثارها فى وصفه لطباع الأبطال فى رواياته وسجاياهم الهادئة وتصوير إنسانيتهم الخيرة الشفافة . ثم تحرى وجهات فنه وطريقته فى القصة وإيراد الحوادث مما لم ينسحب فيه على آثار غيره، وإنما جعله طابعاً لفنه معروفا لا تجثم عليه الواقعية الباهتة ولا تغرب حوادثه الأوهام . ثم مضى المؤلف فى تبيان الألوان الفنية التى امتاز بها قصص تيمور والمراحل التى تحول فيها أثره من الفن الواقعى إلى التحليل النفسى ومن البيئة الخاصة المحدودة إلى الآفاق المنطلقة البعيدة . كل ذلك أتى عليه الأستاذ نزيه الحكيم بطريقة علمية ونقد تحليلى قويم تكاد كل كلمة فيه تنزل فى مكانها من المعنى الذى لا يؤدى بغيرها لدقة التعبير الفنى . ثم أتبع هذه المراحل بخروج تيمور من القصة المقروءة إلى القصة التمثيلية وهو أفق أطلق تيمور فيه جناحى طائر يجيد التدويم . وحين وصل المؤلف إلى أسلوب تيمور بين التحول فيه أيضاً مما كان يعتريه فى سوابق قصصه من لين فى التعبير وانحراف عن مصح اللغة إلى هذه الحلية الحديثة فى آثاره الأخيرة التى استقامت لغتها وأسلس تعبيرها .

المرأة ومركزها الاجتماعى فى الدولة :

هذا كتاب طريف وظريف . أما طرافته فلأنه يعنى بتقديم المرأة عامة والمصرية خاصة بما يسدى اليها من نصح وإرشاد، وما يختط لها من خطط فى إنهاضها وإصلاحها . وأما ظرفه فلأنه حوار بين فيلسوف وتلميذه الفتى ، فالفتى يجنح إلى عداوة المرأة والتنقير فى عيوبها ، والفيلسوف رحيم القلب رحيب الصدر يتخذ للمرأة ألين السبل لتسديد خطاها وإعلاء شأنها ودفع التلاوم عنها .

فهذا الكتاب دعوة مصلح لم يلجأ إلى التنديد والوعيد ورفع العقيرة بالصراخ ، ولا جعل الوسيلة إلى بلوغ غايته من طريق الغيرة الدينية والتزمت ؛ وإنما هو دعوة مطمئنة هادئة تتسرب إلى النفوس بقبول ، فكأن فيها الإيحاء على نحو مايسميه علماء النفس . تقرأ الكتاب كله أو فصلا منه وتخرج بنفس رضيت عما قرأت ولمست وجه الخير فيه . وقد زانه مؤلفه الأستاذ محمد البندارى بلمع من تاريخ العرب والأمم . وحين كتب فصل المرأة المعاصرة ونهضتها أوفى على الغاية وتناول البحث من جذوره إلى ثماره مؤرخا نهوض المرأة المصرية وأخواتها المجاورات . وجعل آخر كل فصل من فصول كتابه أبياتاً فى معنى الموضوع بعضها جاء سليم النظم واضح المعنى وبعضها بدا ظالع المبنى فهيه المعنى . وكيف اتفق الأمر فنى الكتاب أدب وحكمة؟ فهل كان اسم صاحبه منتزعا من اسم بندار الشاعر الحكيم القديم .

زكي المحاسنى